المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة القصيم

كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية

قسم علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية

أثر البارادايم على الهوية الثقافية

The Effect of Paradigm in Cultural Identity

رسالة مقدّمة لاستكمال متطلّبات الحصول على درجة الماجستير
في علم الاجتماع

إعداد الطالب/ أحمد محمد شنيبر الرشيدي

الرقم الجامعي/ ٣٧١١١٧٤٩٥

إشراف/ أ.د طارق الصادق عبد السلام

استاذ علم الاجتماع في قسم علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية

١٤٤١هـ / ٢٠١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

اتقدم بالشكر والتقدير لكل من ساندني ودعمني في رحلتي البحثية خاصة أساتذتي في قسم علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية في جامعة القصيم وعلى رأسهم المشرف على البحث الدكتور طارق الصادق عبد السلام الذي وجهني وأرشدني والدكتور محمد السعوي الذي وجهني في البدايات، وأشكر عائلتي وعلى رأسهم والدتي وأخي مرزوق وكذلك زوجتي وأبنائي الذين أخذت الرسالة من وقتهم الكثير، وكذلك زميلي في الدراسة فهد العتيبي، وكلٍ من أصدقائي عادل عوض الرشيدي، وعبد الله المطيلق وسعد عبد اللطيف الخليفه وكل من ساعدني وأرشدني في مسيرة البحث.

ولله الحمد أولاً وآخراً.

إهداء

أهدي هذا البحث

لوالدتي

واخوتي

وزوجتي

وأبنائي

وبناتي.

أثر البارادايم "النموذج الفكري" على الهوية الثقافية

أحمد محمد الرشيدي

ملخص المشكلة

تبحث هذه الدراسة موضوع البارادايم وأثره على الهوية الثقافية، من حيث اسباب اختيار وضع البارادايم وانوعه وعلاقته بالمرجعية والايديولوجيا وأشارت إلى أنواع البارادايم الصغرى والكبرى التي تشكل النماذج التفسيرية لحياة المجتمعات، ثم بحثت باختصار انواع البارادايم الكبرى الأربعة وتم اختيار أحد البارادايمات كنموذج للدراسة، وتم اختيار أحد المرجعيات المرتبطة بهذا النموذج، وكان المثال هو مرجعية العقيدة الإسلامية، وقد تم استعراض النموذج الفكري قبل الإسلام ومقارنته بالنموذج الإسلامي.

يرتبط البارادايم بمنظومة من الأفكار والعقيدة التي ترسم الحدود والاتجاهات الفكرية للمجتمع التي توجه سلوك الأفراد في المجتمع وعلاقاتهم وتفاعلاتهم، مما يؤثر على الهوية الثقافية مما يجعل البارادايم كأنه لغز خفي داخل المجتمعات، فهو غامض نوعاً ما من حيث صورته المعرفية والعملية في الواقع، بسبب إن أثره على المجتمع يكون بصورة لا شعورية، ومع ذلك فهو من الركائز الأساسية في المحافظة على الهوية الثقافية أو تفككها.

وتبرز صورة الهوية الثقافية لأي مجتمع على شكل قيم كالعادات والتقاليد وغيرها من خلال تفاعل مكونات الهوية الثقافية المتمثلة بالدين واللغة والتاريخ والبيئة ومقدرات الأرض، وهذه التفاعلات تكون مبنية على ما يحرك الإنسان من حاجات مادية أو نفسية أو عقليه، ومع مرور الزمن يتكون نموذج فكري سائد في المجتمع يرسم الصور الذهنية والاتجاهات العقدية للمجتمع بحيث تكون هي المحركة لسلوكياته وتفاعلاته وعلاقاته وهو ما يسمى بالبارادايم.

ويتأثر البارادايم بالمرجعية التي تحافظ عليه من حيث إرجاعه للأصل وكذلك الايديولوجيا التي تغيره مما يؤدي على تغيير الهوية الثقافية، وفي هذا البحث الذي تكمن أهميته من حيث كونه مدخل للباحثين لدراسة العلاقة بين البارادايم والهوية الثقافية. فهو يستهدف معرفة البارادايم وأهميته وأنواعه وأثره على الهوية الثقافية من حيث منهجية التفكير طريقة الحياة واسلوب العيش المعاملة، وكيفية بناء الاعتقاد في الاسلام كمرجعية للهوية الثقافية.

وهذه الدراسة هي محاولة للإجابة عن التساؤلات الآتية باختصار: ما دور الاعتقاد في بناء الهوية الثقافية؟ وكيف يؤثر البارادايم على الهوية الثقافية من حيث القوة والضعف والتماسك والتفكك؟ وقد استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليل والمنهج التاريخي والمنهج المقارن.

واستنتج الباحث إن قوة البارادايم له دور كبير في المحافظة على الهوية الثقافية وتماسكها، وإن ضعفه يؤدي إلى تفككها، وكذلك استنتج إن الإصلاح هو إرجاع الهوية الثقافية إلى أصلها الأول وليس استحداث مكونات جديدة كتغيير اللغة وغيرها، وإن التنمية والتطوير والاستفادة من الآخرين لابد أن تعتمد على المحافظة على الأصول الكبرى من الهوية الثقافية للمجتمع، بحيث إن إهمالها سوف يجعل المجتمع يركز على الفروع وينسى الأصول مما يضعف الهوية الثقافية ويقلل التماسك الاجتماعي واستنتج إن الإصلاح العقدي والتربوي والعلمي أقوى أثراً من الإصلاح السياسي على المدى البعيد، وقد ذكر الباحث بعض التوصيات المرتبطة بالمحافظة على الهوية الثقافية والبارادايم مثل: الاهتمام بتدريس العقيدة والتخطيط الاستراتيجي من أجل معرفة المآلات والعواقب.

The Effect of Paradigm in Cultural Identity

By: Ahmad Mohmad Alrsheedi

Abstract

This study research the problem of paradigm and its impact on cultural identity, In terms of reasons of choose state of paradigm, its type, and its relationship with references and ideology and pointed to types of minor and major paradigm which form constitute interpretive models of the life of societies, The four major paradigms were briefly examined and one of the paradigms was selected as a model for the study, References associated with this models, and the example is the reference of the Islamic faith, has been to review the paradigm before Islam and compared with the Islamic model

Paradigm is associated with a system of ideas and beliefs that draw the boundaries and intellectual trends of society that guide the behavior of individuals in society and their relationships and interactions, which affects cultural identity, which makes the paradigm as a hidden mystery within societies, it is somewhat ambiguous in terms of its cognitive and practical image in reality, because the impact on Society is unconscious, however it is one of the main pillars in preserving or disintegrating the cultural identity.

The image of the cultural identity of any society emerges in the form of values such as customs, traditions and others through the interaction of the components of the cultural identity of religion, language, history, the environment and the capabilities of the earth. These interactions are based on the physical, psychological or mental needs of the human being, Society draws mental images and creed trends of society so that they are the drivers of his behaviors, interactions and relationships, which is called paradigm.

Paradigm is influenced by the reference that preserves it by return it to its origin as well as the ideology that changes it leading to a change of cultural identity. In this research lies the importance in terms of being an entrance for researchers to study the relationship between paradigm and cultural identity and It aims to know the paradigm, its importance, types and its impact on cultural identity in terms of methodology of thinking, way of life and treatment, and how to build belief in Islam as a reference for cultural identity. How does paradigm affect cultural identity in terms of strength, weakness, cohesion and disintegration? In this study the researcher used the descriptive analysis approach, historical approach and comparative approach.

The researcher concluded that paradigm strength has a great role in preserving cultural identity and cohesion, and that its weakness leads to its disintegration, as well as concluded that reform is return cultural identity to its original origin and not to develop new components such as language change and others, The development and improvement and utilization of others must rely on the preservation of the major assets of the cultural identity of the community, so that the neglect will make the community focused on the branches and leave the Originals, weakening the cultural identity and reduce social cohesion and concluded that creed, educational and scientific reform has a stronger impact than political reform In the long run.

The researcher mentioned some recommendations related to the preservation of cultural identity and paradigm, such as: interest in teaching doctrine and strategic planning in order to know results and consequences.

تمهيد

يتكون هذا البحث من خمسة فصول، حيث يتناول الفصل الأول مدخل حول الموضوع بينما الفصل الثاني يتناول موضوع البارادايم واسباب اختيار دراسته وانواعه الكبرى الصغرى ثم يستعرض الأقسام الأربعة الكبرى للبارادايم، وكذلك علاقته بالمرجعية والايديولوجيا أما الفصل الثالث فتحدث عن الهوية الثقافية والفصل الرابع لدراسة أحد المرجعيات المرتبطة بالنماذج التطبيقية للبارادايم، وهو الإسلام أما الفصل الخامس فهو حول أثر البارادايم على الهوية الثقافية، وبعض الإشارات لكيفية تثبيته وكيفية تفككه وأسباب الخلل في البارادايم ثم النتائج والتوصيات

فهرس المحتويات:

الفصل	الموضوع	الصفحة
	شكر وتقدير	أ
	إهداء	ب
	ملخص الدراسة	ج
	Abstract	هـ
	تمهيد	ز
الفصل الأول:	مدخل لدراسة الموضوع	١
	مقدمة	٢
	التعريف بمصطلحات الرسالة	٣
	مشكلة البحث	٦
	أهمية البحث وأهدافه وتساؤلاته وحدوده	٧
	منهج البحث وإجراءاته	٨
الفصل الثاني:	الدراسات السابقة	١٠
	مفهوم البارادايم وعلاقته بالإيديولوجيا والمرجعية	١٣
	البارادايم	١٣
	الايديولوجيا	٢١
	المرجعية	٢٥
	الفرق بين البارادايم والايديولوجيا والمرجعية	٢٦
الفصل الثالث:	الهوية الثقافية	٢٧

مكونات الهوية الثقافية ٣٤

الفصل الرابع: الإسلام كنموذج للمرجعية لتوجيه البارادايم ٣٩

أسباب اختيار الإسلام كنموذج للمرجعية ٤٠

المسار التاريخي للهوية الثقافية للمجتمع الإسلامي في عهد النبي ﷺ ٤٣

أولاً/ ما قبل بعثة النبي ﷺ ٤٤

ثانياً/ ما بعد البعثة ٤٦

نموذج الإسلام في الإصلاح والتغيير للهوية الثقافية ٤٨

أولاً/ منهجية التفكير ٥٠

ثانياً/ أسلوب العيش ٦٥

ثالثاً/ أسلوب المعاملة ٦٧

الفصل الخامس:

تحليل نتائج الدراسة ومناقشتها حول أثر البارادايم على الهوية الثقافية ٧٤

كيف يؤثر البارادايم على الهوية الثقافية؟ ٧٥

كيف نثبت النموذج الفكري «البارادايم»؟ ٨٢

كيف يتفكك النموذج الفكري «البارادايم»؟ ٨٣

أسباب الخلل في النموذج الفكري «البارادايم» ٩١

إصلاح النموذج الفكري أو الهوية الثقافية ٩٣

ملخص النتائج ٩٦

التوصيات ٩٧

المراجع ٩٨

الفصل الأول

مدخل لدراسة الموضوع

مقدمة.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد...

بدأت فكرة هذا البحث عندما غضب ابني بسبب تغيير الطعام الذي اعتاد عليه في وجبة الغداء، فتساءلت عن أسباب الغضب حول هذا الموضوع الذي كنت أراه أمراً بسيطاً، ولكن عندما قرأت بعض الكتب المرتبطة حول الاعتقادات مثل كتاب الآراء والمعتقدات لغوستاف لوبون وكتاب خوارق اللاشعور للوردي وكتاب الفصل بين النفس والعقل للطريفي اكتشفت أن لدى الإنسان عادات تكونت بسببها اعتقادات أثرت على هويته الثقافية بحيث صارت هذه الاعتقادات مثل القائد الذي يوجه الإنسان، بحيث أن «المعرفة عنصر الحضارة الأساسي وهي العامل الكبير في ارتقائها المادي، أما المعتقد فهو الذي يرسم وجهة الأفكار ومن ثمً وجهة السير» (لوبون: ١٤٣٥ :١٥) وهذا المعتقد مبني على عقيدة معينة سواءً كانت دين أو مذهب فكري أو عادات وتقاليد أو غير ذلك، وهذا الأمر الذي جعل المجتمعات تختلف وتفترق وتتنازع، وذلك « أن مشكلة النزاع البشري هي مشكلة المعايير والمناظير قبل أن تكون مشكلة الحق والباطل» (الوردي : ٢٠١٧ :٥٩).

ومن هنا بدأت رحلة البحث بتساؤلات حول ماهية أصول المعتقدات أو المنطلقات الفكرية لها ومصادرها التي بنيت عليها وكيف تكونت هذه المعتقدات؟ وهذه التساؤلات قادتني إلى موضوع البارادايم ومدى ارتباطه بالهوية الثقافية وأثره حول تماسكها أو تفككها؟ ولماذا تضعف أو لماذا تقوى؟ وغيرها من التساؤلات التي تكونت بسببها فكرة البحث الذي سيتكون من عدة فصول حول ماهية البارادايم وعلاقته بالاعتقاد وكيفية تأثيره على تكوين الهوية الثقافية وأثره على قوتها وضعفها وكذلك الفرق بين البارادايم والإيديولوجيا والمرجعية.

التعريف بمصطلحات الرسالة

التعريف العلمي للبارادايم

يدل هذا المصطلح على مثل تقليدي أو نموذج يمكن تكراره واتباعه، ويمتد هذا المدلول إلى الاستخدام الفني للمصطلح الذي طوره فيلسوف ومؤرخ العلوم توماس كون ومن ثم إلى العديد من مجالات علم الاجتماع، (مارشال: ١٥٤٦: ٢٠٠٠).

ويمكن تعريفه: بانه مجموع ما لدى الإنسان من خبرات ومعلومات ومعتقدات وأنظمة مهمتها رسم الحدود التي يسير داخلها الإنسان وتحديد تصرفه في المواقف المختلفة.

(خلف:٢: ١٤٤٠).

التعريف الاجرائي: هو منظومة من الاعتقادات والافكار السائدة التي تحكم حياة الإنسان في المجتمع وتشكل نموذجه التفسيري للأشياء.

التعريف العلمي للإيديولوجيا:

إن كلمة ايديولوجيا تعنى لغوياً في أصلها الفرنسي: علم الأفكار، ولكنها لم تحتفظ بالمعنى اللغوي، إذ أستعارها الألمان وضمّنوها معنى آخر (العروي: ٢٠١٢ :٩)، بحيث استخدمت كي تشير إلى عدد متكامل من الأفكار والمعتقدات (اسماعيل: ١٩٧٩: ٢١)

فالإيديولوجيا: هي ناتج عملية تكوين نسق فكري عام يفسر الطبيعة والمجتمع والفرد ويطبق عيها بصفة دائمة (بدوي: ١٩٨٢: ٢٠٦)

ومعنى آخر هي: نسق من الأفكار والمعتقدات (حقيقي أو قيمي) يسعى لشرح الظواهر الاجتماعية المعقدة بطرح أفكار تبسط وتوجه التطلعات التي تواجه الأفراد والجماعات في حياتهم الاجتماعية والسياسية. (الصالح:١٤١٩ :٢٦٥)

التعريف الإجرائي: الاعتقادات التي نشأت كردَّة فعل لواقع اجتماعي معين وكان أصلها فكرة تعبر عن وجهة نظر قائلها.

الاعتقاد: لغة: اعتقاد مصدر اعتقد كذا إذا اتخذه عقيدة، والعقيدة: (الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده) (المعجم الوسيط:١٤٢٥: ٤١٦)

اصطلاحا: قبول أي رأي كحقيقة، وهذا القبول فكري بالضرورة، ولو أنه قد يتأثر بالعاطفة. وعلى أي حال فإنه يهيئ حالة عقلية لدى الفرد تستخدم كأساس للعمل الاختياري، ولا يعتمد صدق الاعتقاد على الحقيقة الموضوعية في حد ذاتها والمتعلقة برأي معين فهناك اعتقادات خاطئة وأخرى صادقه. (بدوي: ١٩٨٢: ٣٨)

التعريف الإجرائي للاعتقاد: هو الايمان بدين أو مذهب أو أي مرجعية كالعادات والتقاليد والأعراف والنظريات كمنهجية للتفكير وطريقة للحياة وأسلوب للمعاملة.

الهوية: هي حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره وتسمى أيضا وحدة الذات (الصالح:١٤١٩: ٢٦٥)

وهذا تعريف آخر وهو أن الهوية هي شيء فريد لكل واحد منا نفترض أن يكون أكثر أو أقل اتساقاً مع مرور الوقت. (Buckingham: 2008:1)

الثقافة: لابد من التفريق بين تعريف الثقافة في الاصطلاح بين اللفظ المطلق: "ثقافة" واللفظ المركب "ثقافة الأمة" (الأشقر١٤٣٢: ٢١) فالأول يقصد به الأخذ من كل علم بطرف، والثاني هو موضوع الدراسة، ويعتبر مصطلح الثقافة من المصطلحات التي فيها غموض وقد أحصى عالما الانثروبولوجيا الأمريكيان كروبير وكلوكهون ما لا يقل عن مائة وستين تعريفا للثقافة. (مخلوف: ١٤٣٦).

وبما أن التعاريف المرتبطة بالثقافة كثيرة سأذكر تعريفين وهما:

تعريف تايلور وهو: أن الثقافة هي كلٌ مركب يشتمل على المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والتقاليد وكل القابليات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضو في المجتمع. (عماد: ٢٠٠٦: ٣١)

وهذا تعريف آخر للثقافة: هي ذلك التراث الحضاري ومنهجية التفكير وأسلوب العيش والمعاملة.(محمد: ٢٠١٠: ٩٤)

الهوية الثقافية: الهوية هي التفرد. والهوية الثقافية هي التفرد الثقافي، بكل ما يتضمنه معنى الثقافة من عادات وأنماط سلوك وميل وقيم ونظرة إلى الكون والحياة (أمين: ٢٠١١: ٥٠)

التعريف الاجرائي للهوية الثقافية: هي الصورة العامة التي يكوّنها المجتمع لنفسه نتيجة انتماء أفراده لثقافة محددة تكونت من خلال تفاعل كلٌ من: الدين واللغة والتاريخ ومقدرات الأرض والبيئة (الجغرافية والاجتماعية والتربوية والسياسية وغيرها)، وهذا الانتماء والتفاعل يظهر في المجتمع من خلال التصورات أو الرؤى الكلية حول الكون والحياة والعادات والتقاليد والأعراف والأخلاق والآداب وغيرها.

مشكلة البحث.

لو تأملنا في موضوع البارادايم لوجدناه مرتبط بمنظومة الأفكار والمعتقدات حول حياة الناس من حيث بناء المجتمع أو تغييره، والمعتقدات من الأسس المهمة للبارادايم التي تبني عليها المجتمعات والأمم حضاراتها وعاداتها وتقاليدها، بحيث أن كل المجتمعات عبر التاريخ بنت حضارتها على أساس اعتقادي، وبذلك يكون للاعتقاد دور كبير في بناء الهوية الثقافية للمجتمعات أو تغييرها عن طريق الغزو الفكري أو الاستعمار أو الانبهار في ثقافة وحضارة المجتمعات الأخرى أو التأثر بها كما ذكر ابن خلدون أن المغلوب مولع بمحاكاة الغالب.

بحيث تعتبر الهوية الثقافية سمة تميّز المجتمعات الإنسانية عن بعضها البعض، وتعرف الفروق بين الهويات الثقافية من خلال معرفة المكونات الأساسية للهوية مثل: الدين واللغة والتاريخ والعادات والتقاليد وغيرها من القيم التي تتكون بشكل مترابط من خلال الاهتمام والارتباط بها حتى تصبح عقيدة للمجتمع لا ينفك عنها، ومثل هذه الصور ذكرها الله سبحانه في قوله:﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴿٢٢﴾﴾ [الزخرف: ٢٢] بحيث يصبح هذا الاعتقاد هو المحرك الرئيسي للمجتمع بشكل عام وأفراده بشكلٍ خاص، وبحسب نوع ودرجة أو قوة الاعتقاد يكون الأثر على بناء وتغيير الهوية الثقافية، وتبقى الأسس الأخرى للبارادايم لها دور كبير في التأثير على الهوية الثقافية.

مما سبق يخرج لنا التساؤل التالي: ما أثر البارادايم على الهوية الثقافية من حيث منهجية التفكير وطريقة الحياة وأسلوب المعاملة وكيف يؤثر؟ وللإجابة على هذا التساؤل سيستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي وتحليل المضمون، والمنهج المقارن.

أهمية البحث:

تعتبر دراسة أثر البارادايم على الهوية الثقافية وكيفية اثره عليها مهمة من الناحية العلمية والعملية لعدة أمور منها:

- **الأهمية العلمية:**

١- تبرز أهمية هذا البحث لقلة البحوث المرتبطة بالهوية الثقافية من ناحية الاعتقاد والبارادايم.

٢- يعتبر كمدخل للباحثين للاهتمام بهذا الجانب من العلوم الاجتماعية.

- **الأهمية العملية:**

لمعرفة أثر البارادايم على بناء وتغيّر الهوية الثقافية وربطه بالخطط الاستراتيجية للمجتمع حتى لا تتفكك الهوية الثقافية.

أهداف البحث:

نظراً لدراسة البحث البارادايم وأحد المرجعيات المرتبطة بالمحافظة عليه وأثره على الهوية الثقافية فسيكون من أهم أهداف البحث ما يلي:

١- معرفة كيفية بناء الاعتقاد في الإسلام للهوية الثقافية والمحافظة عليها.

٢- معرفة أثر البارادايم على الهوية الثقافية.

تساؤلات البحث:

يعتبر هذا البحث محاولة للإجابة عن التساؤل التالي ما أثر البارادايم على الهوية الثقافية؟ بحيث يدخل تحته عدة تساؤلات منها:

١- ما دور الاعتقاد في بناء الهوية الثقافية؟

٢- كيف يؤثر البارادايم على الهوية الثقافية من حيث القوة والضعف والتماسك والتفكك؟

حدود البحث:

الحدود الموضوعية: ستكون هذه الدراسة حول موضوع ماهية البارادايم وإيجابياته وسلبياته على المجتمع وأثره على الهوية الثقافية وعلاقته بالمرجعية والإيديولوجيا، وسنأخذ نموذج للمرجعية وهو الدين الإسلامي.

منهج البحث وإجراءاته:

سوف يدرس الباحث أثر البارادايم على الهوية الثقافية باستخدام المناهج التالية:

- المنهج الوصفي التحليلي: ويقصد به الباحث وصف ماهية البارادايم وأثره على الهوية الثقافية من خلال تحليل بعض المواقف ووصفها في الإسلام وكذلك وصف بعض الصور المرتبطة بالحياة الاجتماعية على حسب حاجاتهم المادية والنفسية والعقلية.
- المنهج التاريخي: ويقصد به الباحث تحليل بعض المواقف من سيرة الرسول ﷺ حول أثر الاعتقاد في الإسلام كمرجعية للبارادايم على الهوية الثقافي وذلك من خلال استخدم أسلوب تحليل المضمون كأداة لتحليل تلك المواقف وكذلك البحث في الحالة الدينية والاجتماعية للعرب قبل الإسلام وبعده.
- تحليل مضمون بعض الكتب مثل:

١- كتاب الآراء والمعتقدات لغوستاف لوبون.

٢- خوارق اللاشعور لعلي الوردي.

- والمنهج المقارن: ويقصد به المقارنة بين البارادايم والايديولوجيا والمرجعية الحاكمة للواقع الاجتماعي بين الإسلام وما قبله كمنهج للتفكير وطريقة للحياة وأسلوب للمعاملة وأثره على الهوية الثقافية ومواضيع أخرى.

الفصل الثاني

أولاً/ الدراسات السابقة

ثانياً/ مفهوم البارادايم وعلاقته بالإيديولوجية والمرجعية

تمهيد

تعتبر الدراسات السابقة من الداخل المهمة لأي بحث، إذ هي المرآة التي من خلالها يرى الباحثين المناطق التي لم تبحث في ميدان البحث ويوجه تركيزه على دائرة معينة لأحد مواضيع البحث حتى لا تتشعب به وتتداخل، وليس معنى ذلك إن الباحث لا يتطرق إلى جزيئات البحث ويستحدث له فروع ولكن ليعرف نقطة الانطلاق الغاية من هذا البحث، ويضع ذلك في إطار عام كبناء كلي متسق مع جزئياته الداخلية.

وفي هذا البحث سوف نستعرض بعض الدراسات السابقة لنجعلها كمدخل لهذا البحث.

أولاً/ الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى: (السعيدي أ: ١٤٣٥)

استهدفت دراسة الباحث محمد بن إبراهيم السعيدي التي بحثت موضوع الممانعة الاجتماعية والتي تهدف إلى معرفة نشأة القيم ومعرفة دور مكونات القيم كالدين واللغة والتاريخ في توجيه تصرفات الناس وتصوراتهم عن الحياة، وأسباب سوء الواقع القيمي، وقد استخدم فيها المنهج الوصفي، وقد ذكر بعض وسائل الممانعة المجتمعية منها وقد استنتج إن الاعتناء بمكونات القيم كالعقيدة وغيرها من أهم الأصول المرتبطة بضبط الممانعة المجتمعية وذلك بإرجاع الواقع الاجتماعي للأصل.

الدراسة الثانية: (الشامي: ١٩٩٧)

استهدفت دراسة الباحث رشاد علي عبد الله الشامي التي بحثت موضوع إشكالية اليهودي في إسرائيل والتي استخدم فيها المنهج الوصفي والتاريخي والمقارن والتي كانت بتساؤل: من هو اليهودي؟ وبحثت الهوية في إسرائيل منذ نشأتها والإشكاليات التي تتعرض لها وقد ذكر الصراعات بين العلمانيين والدينين من جهة والأشكنازيم والسفارديم من جهة أخرى وغيرها من الأمور المرتبطة بالمرجعية المكونة للهوية وكذلك استعرض الرؤى التي طُرِحت لتحديد ماهية الهوية هل

هي: كنعانية أم يهودية؟ وهل هي دولة دينية أم علمانية؟ وهل هي إسرائيلية أم صبارية؟ وغير ذلك واستنتج إن الإشكالية مازالت قائمة مند حرب ١٩٦٧م.

الدراسة الثالثة (يوسف: ٢٠٠١)

استهدفت الدراسة التي أجراها الباحث نعيم يوسف والتي استخدم فيها المنهج الوصفي التي بدأت بتساؤل حول ما هو أثر العقيدة على الفرد والمجتمع؟ وتطرق إلى ماهية العقيدة الإسلامية وخصائصها وأثرها على الفرد بحيث تحرره من الخوف على الحياة وعلى الرزق وتحرره من الأنانية والشح والجشع وكيف أن العقيدة تربي في الفرد يقظة الضمير وتكسبه الطمأنينة في قلبه وتكوين الشخصية المتزنة، وكذلك ركّز على أثر العقيدة على المجتمع وذلك أنها سبب في انتشار الأمن والمحبة بين الناس والبعد عن اتباع الهوى والتعصب وكذلك التماسك الاجتماعي وكيفية بناء العقيدة العلاقة بين المجتمع وقائده أو ولي أمره واستنتج بأن عقيدة التوحيد هي أساس القوة الفردية والاجتماعية.

الدراسة الرابعة: (محمد: ٢٠١٠)

استهدفت دراسة الباحث زغو محمد التي استخدم فيها المنهج الوصفي التي كانت بعنوان أثر العولمة على الهوية الثقافية ، والتي بدأها بعدة تساؤلات من أهمها: هل العولمة الثقافية أمر لامفر منه؟ وهل تموت الثقافة الوطنية في ظل العولمة؟ وتطرق إلى تفاعل الهويات الثقافية في ظل العولمة وقد ذكر بعض التطبيقات السلبية للعولمة على اللغة والتربية وغيرها وطرق التصدي للعولمة، وتوّصل إلى نتيجة وهي أن العولمة ليست خيراً كلها ولا شراً كلها وإنما ينبغي على أي أمة أن تتوازن في التفاعل مع العولمة، مع المحافظة على كيانها وهويتها الثقافية في ظل التعدد الثقافي.

التوافق والاختلاف بين الدراسات السابقة وهذه الدراسة:

كانت الهوية الثقافية هي الهدف الأساسي من البحوث السابقة من حيث معرفتها أو تأثرها ومن حيث نوعها كدراسة تحليلية وصفية أو تاريخية أو مقارنة ودراسة المؤثرات على تلك الهوية واختلفت العوامل المؤثرة على الهوية الثقافية بحيث تطرقت الدراسة الأولى إلى الممانعة الاجتماعية

وهي إلى حدٍ كبير تلتقي مع دراستنا في موضوع النموذج الفكري(البارادايم) أما الدراسة الثانية والثالثة تلتقي في موضوع الاعتقاد كجزء لأحد مكونات النموذج الفكري، بحيث إن الدراسات الثلاث السابقة مرتبطة بالمؤثرات الداخلية للهوية الثقافية أما الدراسة الرابعة فهي العوامل الخارجية المؤثرة على الهوية الثقافية وهي العولمة.

فالاعتقاد أحد الروابط المشتركة بين الدراسات الثلاث الأولى بحيث يلتقي مع دراستنا من هذا الجانب، والدراسة الأولى فتطرقت إلى البارادايم بشكل مباشر، أما الدراسة الرابعة فدرست العولمة كمؤثر خارجي على الهوية الثقافية وأحد المؤثرات القوية على البارادايم.

ثانياً/ مفهوم البارادايم وعلاقته بالإيديولوجية والمرجعية

إن التغيرات التي تحدث بالواقع لها مجموعة من المحركات التي تحافظ على الواقع وترده إلى أصله أو تغيره إلى أصل جديد وهذه الأمور مرتبطة بمحركات الواقع الاجتماعية التي تعتمد على عوامل الضبط الاجتماعية بصورها الدينية أو القيمية والمعيارية أو الإيديولوجية.

بحيث إن الواقع الاجتماعي بصورته الحالية يمثل البارادايم (النموذج الفكري) وله مرجعية يرجع إليها أو الإيديولوجيا التي تحاول تغيير الواقع إلى صورة جديدة، وسوف يتطرق البحث في هذه الفصل إلى البارادايم والإيديولوجيا والمرجعية كمقدمة مرتبطة بالفصل القادم من حيث إن هذه الأمور الثلاثة لها علاقة بالهوية الثقافية من حيث إنها تثبيت للواقع الحالي للهوية أو إرجاع للأصل أو كتغيير أو طمس للهوية الثقافية.

البارادايم (النموذج الفكري)

إن التغير سمة من سمات أي مجتمع، وهذا التغير يكون في الأدوات أو في الثقافة، وتغيَّر المجتمع في الأدوات والتقنيات سريع نوعاً ما أما التغيَّر في الثقافة فيحدث ببطء، والتغيرات الاجتماعية تكون لتلبية الاحتياجات أو لحل المشكلات أو تكون بغرض التجديد من أجل التجديد فقط أو من أجل التقليد والمحاكاة، والأخير في الغالب تكون أسبابه إما ثقافية وإما سياسية بحيث إن «عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه» (خلدون: ١٤٣٤ :٣٥).

والتغيير يكون بتطوير الأدوات والتقنيات أو استحداث أدوات أو تقنيات جديدة، وهذا التغيير يؤثر على أعراف المجتمع وتقاليده مما يؤدي إلى مقاومة المجتمع هذا التغيير، وهذه المقاومة تختلف درجتها فقد تكون قوية يتم تنفيذها عملياً بترك هذه الأداة أو التقنية التي تمنع هذا التغيير أو تقلل من انتشاره أو اعتراضات قولية مؤقته لا تلبث أن تنتهي بأقرب وقت.

والسبب في هذه المقاومة أو الاعتراض لهذا التغيير واعتباره مخالفة لقيم المجتمع هو النمط الذي بنوا عليه طريقة تفكيرهم وأسلوبهم في العيش والمعاملة والحياة لأنهم تعودوا على تقنيات وأدوات محددة، وعندما ننظر إلى النمط المرتبط بطريقة تفكيرهم وأسلوبهم في العيش والمعاملة لابد من جمعها في إطار عام يمكن من خلاله معرفة أصول الاعتقاد ومنطلقات التفكير والغايات من أفعالهم الاجتماعية وهذا الإطار يسمى البارادايم أو النمط الفكري العام أو النموذج الفكري للمجتمع.

وسوف يستخدم الباحث مصطلح النموذج الفكري بدلا من البارادايم حتى يتسق الكلام مع اللغة العربية، وهذا النموذج الفكري له دور كبير في المحافظة على الهوية الثقافية مع أنه جزء لا يتجزأ من الهوية الثقافية.

فالنموذج الفكري يرجع لأمرين لهما دور كبير في توجيه السلوك هما:

١- الاعتقاد.

٢- المعرفة أو الأفكار.

بحيث «أن المعرفة عنصر الحضارة الأساسي، وهي العامل الكبير في ارتقائها المادي، أما المعتقد فهو الذي يرسم وجهة الأفكار ومن ثم وجهة السير» (لوبون: ١٤٣٥:١٥) فالاعتقاد مرتبط بالأصول والكليات المشتركة بين الناس، أما المعرفة والأفكار فهي متعلقة بتثبيت الأصول والتعامل مع التفاصيل والجزيئات سواءً عن طريق الخبرات والتجارب السابقة أو اعتماداً على أصول الاعتقاد.

والنموذج الفكري هو «الطريق الأساسي للتصور والتفكير والتقييم والإنجاز من رؤية خاصة للواقع، ونادراً ما تجد براديماً مسيطراً بشكل صريح العبارة، فهو دائماً موجود على شكل إدراك في اللاوعي وغير قابل للنقاش ينتقل بين الثقافات والأجيال مباشرة من طريق التجربة والممارسة عوضاً عن تدريسه أو تعليمه» (باركر: ٢٠١٣ :٢٤)، فالنموذج الفكري من خصائصه أنه

شائع في المجتمع بحيث لا يشعر به الناس، يوجه حياتهم بطريقة عملية مرتبطة بالإيمان (باركر: ٢٠١٣: ١٣٤)

وعند النظر لواقع المجتمعات نجد صور متعددة من النماذج الفكرية التي تختلف بناءً على الاصول التي تبني عليها او المنطلقات الفكرية مثل الاديان والمذهب العقدية والمذهب الفكرية والعادات والتقاليد وتختلف من حيث الغايات مثل البرجماتية وغيرها، وقد ذكر توماس كون اربعه اسباب حول أهمية النماذج الفكرية ودراستها في المجتمعات العلمية (كون:١٤٠٨:٩٨) وسيتم تطبيقها على المجتمعات البشرية بحيث ان الفكرة واحدة تقريبا، وهذه الاسباب هي:

١-الصعوبه الشديدة في اكتشاف القواعد التي تقود التقاليد البشرية السوية وذلك بسبب اختلاف الاهداف والغايات واختلاف المنطلقات والمرجعيات وكذلك الواقع الاجتماعي والظروف البيئية وغير ذلك من الامور.

٢-ان البشر لا يتعلمون العقائد والمفاهيم والعادات والتقاليد لصورة مجرده عن الواقع ولكن يمكن تعلمها من خلال التقليد والمحاكاة وممارستها بشكل متكرر وذلك بالانتماء لمجموعه بشرية لها نموذجها الفكري الخاص بها ويمكن تسميه هذا الامر بالتربية العملية والشفاهية.

٣- أن النماذج تقود المجتمع لصياغة هويته الثقافية التي تعبر عن الصورة العامة الثقافية مما يجعل افراد المجتمع يتبعون هذا النموذج الفكري من حيث لا يشعرون بالصغر ويدافعون عنه عند الكبر، بحيث ان النماذج تقود المجتمع بدون الحاجة الى ضوابط والقواعد وهذا يساعد على بناء الهوية الثقافية والمحافظة عليها من خلال تكرار النماذج الفكرية والتوكيد عليها.

٤- إن التسليم للنماذج حالة أساسية يفضَّل على القواعد والضوابط، وذلك أن الإنسان يميل إلى عدم التقيّد بالأنظمة والقوانين، وإنما تحركه نفسه إلى ما يريد ويشتهي، أما النماذج الفكرية فهي تصنع الاطار العام لنفسية الإنسان المبنية على الواقع الاجتماعي مما يساعد المجتمعات على السير بالحياة بطريقة واضحة كأنها تسير بطريقة لا إرادية، وهذا تفسير لسبب بطء التغير الاجتماعي، وذلك أنه قد يحتاج سنوات أو عقود من الزمن، وهذه ميزة للنماذج

الفكرية من حيث محافظتها على الهوية الثقافية، وهناك تسميات مقاربة لمعنى النموذج الفكري أو البارادايم منها: «الممانعة الاجتماعية» (السعيدي أ:١٤٣٥).

وبناءً على ما سبق من أهمية النماذج الفكرية للمحافظة على الهوية الثقافية فلابد من معرفة أنواع النماذج وصورها وتدرجها من حيث التغيرات الاجتماعية، ويمكن أن نقول إن النماذج الفكرية نوعان:

١ – النماذج الفكرية الصغرى أو الخاصة: وهي نماذج فكرية داخل النماذج الفكرية الكبرى مثل: النموذج الفكري للأسرة الغنية والفقيرة وكذلك القبيلة والمدينة وغيرها، فالحياة الأسرية يمكن دراسة نموذجها الفكري من حيث التماسك الأسري المبني على الحب والتعامل الحسن أو التفكك الأسري المبني على ما يسمى بالطلاق العاطفي أو الهدم بسبب الفراق أو الطلاق، فهذه ثلاثة أشكال من النماذج الفكرية المرتبطة بالأسرة، فالحب نموذج فكري مبني على قوة الانتماء والطلاق العاطفي نموذج فكري مبني على ضعف الانتماء أما الطلاق أو الفراق فهو مبني على عدم الانتماء.

٢– النماذج الفكرية الكبرى أو العامة: وهي مرتبطة بالمجتمع في إطاره العام وهي أربعة أقسام، وقبل أن نذكر أقسامها لابد أن نشير إلى إن كل النماذج الفكرية تحركها عقيدة سواءً كانت العقيدة ظاهرة وواضحة أو غير واضحة ولكن التقسيم سيكون على الحالة الغالبة سواء كانت العقيدة أو الأنظمة والقوانين أو الفوضى، ويمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام هي كما يلي:

١– النماذج الفكرية الفوضوية:

ويقصد بالفوضى هنا ليس عدم وجود أنظمة أو تنظيمات ولكن الفوضى مرتبطة بالصراع بسبب تعدد الغايات والأهداف واختلاف المنطلقات الفكرية أو العقدية، بحيث أن كل فرد أو جماعة له هدف وغاية مختلفة عن الآخرين خاصة في الغايات الكبرى كالدين والسياسة

والاقتصاد مما يولّد التفكك الاجتماعي ومن ثم انتشار الفرقة وضياع المصلحة العامة على المدى القصير أو البعيد.

وأصل هذا النموذج قد يرجع إلى الخلل في ضبط المفاهيم مثل مفهوم الحرية وغيره وهذا الخلل المبني على التقسيم الثنائي للحرية من حيث الحرية المطلقة أو عدمها والصحيح أنه لا توجد حرية مطلقة لأنها نهايتها التدمير والخراب ومحدودية الحرية ولا يمكن أن تنعدم الحرية ولكن بشكل عام الحرية تقيّد ولها حدود، وهذا النموذج يحركه في الغالب العاطفة واتباع هوى النفس والمصلحة الخاصة سواءً للفرد أو جماعة معينة.

٢- النموذج الفكري النظامي أو القانوني:

وهو النموذج الفكري للمجتمع الذي يسير وفق نظام معين مبني على قواعد ومعايير وضوابط من وضع البشر تنظم حياة الناس وتحكمها كالديموقراطية والديكتاتورية.

وهذا النموذج في الغالب سريع التغيّر إلا إذا كان له عقيدة خفيه توجهه، وذلك لأنه مرتبط بالواقع الذي تحكمه آراء الناس المختلفة، ويكون فيه الكثير من التناقضات بسبب اختلاف منطلقات وغايات المنظّرين والمشرّعين فمثلاً اختلافهم في مفهوم الحرية سبب الكثير من الإشكاليات كما حدث عند المجتمع الهندي وتقسيمه إلى أربع طبقات وهذا التقسيم يقارب تقسيم افلاطون للمجتمع اليوناني، «وعلى أساس التقسيم المشار إليه يتفاوت أفراد المجتمع في الثراء والمركز الاجتماعي والحرية الشخصية، بمعنى أن الكهنة والبراهمة هم أكثر أفراد المجتمع امتيازا» (الخشاب:٢٠١٥:٢٥). وليست المشكلة في وجود الطبقات في هذا النموذج ولكن المشكلة في ثبات الطبقات وجمودها لأفراد معينين، وهذه التقسيمات لها تسلسل زمني بحيث تأثر بها تاريخ بعض الدول الحديثة كالولايات المتحدة الامريكية وفرنسا.

ويعتبر سؤال الحرية موجود في كل الأمم بمعانيه المختلفة ولكن «أول ظهور بارز لسؤال الحرية في الفكر الغربي كان في بداية القرن السابع عشر أو قبله بقليل» (السيف:١٤٣٨:٢٤) ومن

أهم مظاهر هذا الظهور هي «ظاهرة نقد الدين والثورة على تعاليمه ومباديه ويرجع تشكّل هذه الظاهرة إلى أسباب كثيرة، وتتمثل هذه الظاهرة في تيارين كبيرين هما:

أولاً/ التيار الربوبي: وهو ما يدعى التيار الطبيعي، وتقوم فكرته على أن الإنسان مستقل بعقله في علاقته مع الله، ولا يحتاج في ذلك إلى الإيمان بالوحي والنبوة والكتب المقدسة.

ثانياً/ التيار الإلحادي: وتقوم فكرته على عدم الإيمان بوجود الله، إما مع الجزم بعدم وجوده وإما بمجرد الاكتفاء بالشك في وجوده.

وقد اشترك هذان التياران في توجيه النقد اللاذع للأديان وتوجيه التهم إليها والسعي من تنفير الناس من الدين بكل صوره» (السيف:١٤٣٨: ٢٤)

وبسبب تحييد الدين وترك منهجيته «انتهى الفكر الغربي إلى ابتداع مناهج ومذاهب للتفكير الغرض الأساسي منها هو معارضة منهج الفكر الديني» (السيف:١٤٣٨ :٢٦)

وقد حاول بعض الفلاسفة استبدال مفهوم الحضارة المرتكزة على الواجب إلى حضارة ترتكز على فكرة الحقوق مثل حق الرأي العام وحقوق الفكر وحقوق الإنسان والمرأة وغيرها من الأمور المرتبطة بالحرية حتى صار مفهوم الحرية يدور حول إطلاق إرادة الإنسان من القيود المفروضة علية من الكنيسة ورجالها، «وأصبحت تبنى التصورات عن الحرية على أساس الحق الطبيعي الذي يعني أن الإنسان يستحق الحقوق بوصفه إنسانا، ويستمدها من طبيعته الإنسانية فقط لا من غيره» (السيف: ١٤٣٨ :٢٧)

وظهر بسبب الحرية مفهوم المساواة بين الذكر والأنثى الذي أثر على مفهوم الأسرة وتماسكها وحصل تغيير في مفهوم الوظيفة ومفهوم التربية، وظهر مفهوم الحرية الشخصية الذي أثر في مفهوم الزواج واختلطت الكثير من المفاهيم بسببه، مما أثر على المعنى العام للهوية الثقافية للمجتمعات.

وهناك الكثير من العلماء والمفكرين الذين لهم دور كبير في إبراز هذا النموذج على الأساس الاجتماعي للحرية في الفكر الغربي خاصة مثل جون لوك وجان جاك روسو في كتابه العقد

الاجتماعي (روسو:٢٠١٥) بحيث كان الهدف من الحكومة هو الوحدة، وذلك لحماية الضعيف من الجور وضمان ملك كل فرد وماله مع وضع قواعد للعدل والسلام، وهذه القواعد صارت قيوداً للفقير وسلطة للغني تقضي على الحرية الطبيعية، مما أخضع البشر للعمل والعبودية ونتج بسبب هذه القوانين مجموعة من الحروب الأهلية والمعارك والمذابح.

«وبناء على مفهوم الحق الطبيعي تم إعادة صياغة منظومة قيمية جديدة كالفردية والاستقلالية والحرية الجنسية وحرية الاختيار الجنسي (الشذوذ) وأن المرأة مالكة لجسدها ولها حرية التصرف فيه والدولة هنا هي ضامن قانوني لحماية هذه الحقوق» (السيف: ١٤٣٨ :٥٢) فالقانون يختلف عن الدين، لأن نطاق القانون ضيق في دائرة معينة بحيث يركز على هدف محدد فقط بسبب نظرة إلى زاوية واحدة، وقد يكون القانون وسيلة لما يريده الإنسان وإن كان خطأ.

وعند النظر في هذا النموذج نجد الكثير من التناقضات بحيث نجد أن معنى الحرية الشخصية لا يتوافق مع المصلحة الاجتماعية، وذلك لاختلاف أهداف الناس التي ترتكز على غاياتهم الخاصة، ولكن إعادة صياغة القيم بصورة مختلفة جعل المجتمع يتكيف مع هذا الوضع وذلك لأن تغيير أي مجتمع يبنى على أمرين أو أحدهما:

١- تغيير المفاهيم: وهو ما يعبّر عنه بإعادة صياغة القيم.
٢- تبديل القوانين: وهذا بالغالب يحتاج إلى سلطة أو قوة.

ولا يمكن القول بأن القوانين هي التي تحكم ولكن لابد من وجود عقيدة لأي شيء بالحياة سواء كان مرجعية أو ديناً والفرق بينهما أن المرجعية أوسع دائرة من الدين.

وهذا الاعتقاد قد يكون بسبب الإيمان بشيء أو الخوف منه أو محبته، ويحكم هذا النموذج في الغالب القوانين المبنية على العقل والسلوك والمصلحة القانونية المرتبطة بتطبيق صورة النظام بعيداً عن المصلحة العامة المعتمد على الرقابة الخارجية، مثلما يحصل في الربا والاقتصاد الكلي المعتمد على الصورة الكلية للناتج المحلي.

٣- نموذج العقيدة التي ليس لها ضوابط وقواعد أو لها قواعد وضوابط غير واضحة أو غير معروفة.(شفاهية)

وهو النموذج المعتمد على العقيدة التي تحكمها العادات والتقاليد والأعراف وتكون غير مكتوبة، ويكون أخذها وتعلمها بالمحاكاة والتقليد سواءً كانت قول أو فعل مثل التحاكم إلى من يسمونهم مقاطع الحق أو العراف أو مقارع الحق(القحطاني: ١١) وكذلك الأخذ بالثأر كما في بعض البلاد «فالأخذ بالثأر ظاهرةٌ قديمةٌ ومتجذرةٌ في مجتمع صعيد مصر، وفي الأعراف والعادات والتقاليد التي تسيّر شؤون الحياة فيه، بل تحوّلت إلى نمط حياةٍ متكاملٍ منذ مئات السنين، وثقافةٍ اجتماعيةٍ لا يجوز التنازلُ عنها بين العديد من العائلات» (معوض: ٢٠١٢: ٣)، فهذا النموذج يؤثر على الهوية الثقافية من حيث جعل بعض العادات تكون هي الحاكمة كمقاطع الحق أو تؤخذ بعين الاعتبار كظاهرة الثأر، وهذا النموذج يحركه في الغالب العادات المتضمنة للعاطفة والسلوك.

٤- نموذج العقيدة التي لها ضوابط وقواعد واضحة ومعروفة

وهو النموذج المرتبط بالعقيدة التي يحكمها الدين سواء كان هذا الدين محرّف أو غير محرّف، بحيث إن هذا الدين له مرجعية ثابتة أو أصل ثابت، وثبات الأصل لا يعني عدم التحريف لأن التحريف قد يكون في تحريف الألفاظ أو الترجمات أو المعاني.

وهذه النموذج يحكمه في الغالب العقيدة المتضمنة للعقل والعاطفة والسلوك، وسوف نأخذ الإسلام كنموذج للمرجعية الحاكمة لهذا النموذج الفكري في الفصل الرابع.

الايدولوجيا

تعتبر الايديولوجيا من المفاهيم التي أختلف الكتّاب في تعريفها ولكن يمكن القول بشكل مجمل أنها منظومة من الأفكار التي ظهرت كردة فعل أو انعكاس للواقع الاجتماعي ثم تحولت إلى معتقدات تظهر على شكل سلوك واقعي، وهدفها الرئيسي تغيير الواقع.

وبما أن المجتمعات ترتكز على الواجبات أولاً ثم الواجبات محكومة بالأخلاق والموازنة بين الحياة الفردية والاجتماعية بعكس الحضارة الغربية التي ترتكز على الحقوق أولاً مما جعلها تسنَّ القوانين من أجل عمل الواجبات وذلك بسبب الخلل في الأولويات.

وأهم الواجبات على الإنسان التي أوجبها الإسلام هي احترام السلطة التشريعية التي أساسها الدين الإسلامي والنظامية التي أساسها الحاكم والأسرية التي أساسها الوالدين، وأداء ما يجب عليه تجاهها من أوامر، ولابد من اجتماع الاحترام للسلطات الثلاث وإلاَّ حصل التطرف والانحراف، بحيث إن التركيز على السلطة التشريعية وإلغاء أو إهمال السلطات الأخرى ينتج عنه في الغالب التشدد الديني، أما التركيز على السلطة النظامية فينتج عنه الليبرالية، أما التركيز على السلطة الأسرية فينتج عن العصبية القبلية، ولذلك الدين الإسلامي يوازن بين هذه الواجبات الثلاثة.

أما الحقوق التي حفظها الإسلام للإنسان فهي الدين والنفس والعقل والمال والنسب (اليوبي:١٤١٨: ١٨٢)، والأصل على الإنسان أداء الواجبات التي عليه حتى لو لم يحصل على كافة حقوقة، ثم المطالبة بالحقوق بالطريقة الصحيحة قدر المستطاع، وذلك لأن الحكام يختلفون وقد يكون فيهم غير العادل، والخروج مع الحاكم والصدام معه ضرره أكثر من نفعه، ولابد من الصبر عليه إذا كان ظالماً وفعل ما يستطيعه الإنسان من أجل الإصلاح كما قال رسول الله ﷺ: «إنها ستكون بعدي أثَرة وأمور تنكرونها، قالوا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟، قال: تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم» رواه البخاري٣٦٠٣ (آل الشيخ: ١٤٢٩:

٢٩٢)، فالأصل أن التركيز على الحقوق الشخصية وترك الحقوق الاجتماعية ضرره أكثر من نفعه.

ومن الأمثلة على بعض الايديولوجيات السياسية التي ظهرت بسبب ضعط الواقع ولكن كانت نتائجها مدمرة مع مرور الوقت وكانت كالبذرة لمشكلات أخرى:

- الايديولوجيا الليبرالية

«وتدور القضية المركزية للإيديولوجيا الليبرالية حول الولاء للفرد والرغبة في إقامة مجتمع يستطيع الناس فيه تحقيق مصالحهم والوصول إلى حالة الإشباع.» (هيود:٢٠١٢: ٣٩) ولم ينظروا إن الحياة موازنة بين الحقوق الفردية والاجتماعية.

- الايديولوجيا الاشتراكية

ظهرت هذه الايديولوجيا كردة فعل للرأسمالية، بحيث ترتكز على البناء الكلي للمجتمع وتحقيق الحاجات المادية فقط مع إهمال الفروق الفردية والحاجات النفسية والعقلية. (هيود:٢٠١٢: ١٢٥)

- الايديولوجيا النسوية

وأساس هذه الايديولوجيا هو المطالبة بالمساواة بين النساء والرجال كما في حق التصويت والمطالبة بتمتع المرأة بالحقوق القانونية والسياسية كالرجل. (هيود:٢٠١٢: ٢٧٩)

- ايديولوجيا التعددية الثقافية.

وترجع هذه الايديولوجيا إلى التعدد في القومية العرقية الثقافية بحيث إن تعدد الثقافات في مجتمع واحد بحيث يربط المجتمع وحدة سياسية أكثر منها ثقافية. (هيود:٢٠١٢: ٣٧٧)

وهذه التعددية قد يدخل فيها أمور أخرى تبعاً لهذا التعدد مثل تعدد الأديان مما يضعف الوحدة الاجتماعية ويجعل الرابط بين هذه الهويات الثقافية هو النظام والسياسة فقط.

وغيرها من الأمثلة المشابهة.

فالايديولوجيا عبارة عن اعتقاد بدأ كفكرة تعبّر عن وجهة نظر المفكر أو الفيلسوف أو السياسي الذي أنتجها، وهذه الفكرة في الغالب تحكي عن معاناتهم أو نظرتهم للواقع من زاوية معينة.

وقد ذكر العروي أربعة استعمالات للايديولوجيا في كتابة مفهوم الايديولوجيا وهي: (العروي: ٢٠١٢: ١١)

١- في ميدان المناظرة السياسية: بحيث يرى المتكلم أيديولوجيته الخاصة عقيدة تعبّر عن الوفاء والتضحية والتسامي بينما يرى ايديولوجيا الآخرين أقنعة تستر وراءها نوايا خفية لا واعية يحجبها أصحابها حتى على أنفسهم.

٢- في ميدان المجتمع: وذلك أنها تعبّر عن دور من أدواره التاريخية في فترة زمنية معينة، وذلك عندما ندرك أن المجتمع ككل يتفق جميع أعضائه على الولاء لقيم مشتركة ويستعملون منطقاً واحداً، بحيث تحدد الإيديولوجيا أفكار وأعمال الأفراد والجماعات بكيفية خفية لاواعية، ولكي يصل الباحث إلى رسم معالمها لابد له من تحليل وتأويل أعمال أولئك المعاصرين

٣- في ميدان حدود الإنسان المتعامل مع محيطه الطبيعي وهي مرتبطة بنظرية المعرفة.

٤- الاستعمال المشترك بين المجالات السابقة، فعندما ندرس تأثير أي أيديولوجيا على الفكر فإننا نبحث في الحدود الموضوعية التي ترسم أفق الفكر، والحدود هي من الأنواع الثلاثة:

- حدود الانتماء إلى ايديولوجيا سياسية أو ما يطلق عليه قناع وهمي للمصلحة (النسبية).
- حدود الدور التاريخي الذي يمر به المجتمع ككل (التاريخية).
- حدود الإنسان في محيطة الطبيعي كنظرية المعرفة (الجدلية).

فمفهوم الايديولوجيا دائماً مزدوج، فهو في نفس الوقت وصفي نقدي يستلزم دائماً مستويين:

الأول: المستوى الذي يقف عنده الباحث لوصف الايديولوجيا بوفاء وأمانة.

الثاني: المستوى الذي يحكم الباحث أن الإيديولوجيا لا تعكس الواقع على الوجه الصحيح وهو نقد الايديولوجيا.

ومن هنا نستنتج أن الظاهرة النقدية هي التي تميز مهموم الايديولوجيا عن المفاهيم الأخرى مثل: فكر، دين، عقيدة، فلسفة، وذلك أن مفهوم الأيديولوجيا لا ينتعش ويتبلور إلا في نطاق نظرية اجتماعية ونظرية تاريخية متكاملتين.

وقد ذكر عبدالله العروي أنه توصل إلى نتيجة حول مفهوم الايديولجيا (العروي: ١٤١٢ :١٦٠)

أولاً: أنهما مفهوم مشكل (يعني فيه إشكاليات كثيرة من حيث الفهم والاستخدام)

ثانياً: مفهوم غير برئ يحمل في طيّاته اختيارات فكرية يجب الوعي بها لكي لا يتناقض صريح الكلام مع مدلوله الضمني.

ثالثاً: مفهوم قد يصلح أداة للتحليل السياسي والاجتماعي والتاريخي ولكن بعد عملية فرز وتجريد لكي يبقى كل باحث وفياً لمنهج المادة التي يبحث فيها.

وفي ضوء هذه الحقائق ذكر العروي ثلاثة مواقف أساسية حول مفهوم الإيديولوجيا من الكتاب العرب المعاصرين: (العروي: ١٤١٢ :١٦١)

١- موقف من يضع فكره خارج نطاق المفهوم.
٢- موقف من يقبل المفهوم بكل مضامينه.
٣- موقف من يستعمله كأداة تحليلية مجردة من أي اختيار فلسفي

والمعنى الذي سيستخدمه الباحث للايديولوجيا هو أي تغيير يحدث كردة فعل أو انعكاس للواقع الاجتماعي سواء كان مدرك أو غير مدرك.

المرجعية:

أصل المرجعية في اللغة مأخوذة من رجَعَ التي تعني: أنصرف –الشيء عن الشي– وإليه (القاموس المحيط :٢٠٠٥ :٧٢٠) أي عاد إليه ، والمرجعية تعني الشيء الذي يعود إليه الإنسان لأنه أصل سواءَ كان شخصاً أو جماعة أو كتاباً أو غير ذلك.

وتعني المرجعية: «الفكرة التي تشكل أساس كل الأفكار في نموذج معين والركيزة النهائية الثابتة له التي لا يمكن أن تقوم رؤية العام بدونها» (المسيري:١٩٩٩ :٥٤)

وتعني المرجعية اصطلاحاُ: «ما يرجع إليه من أصول وقيم ومفاهيم كلية سواءً في عقل أو كتاب أو عالم أو مجمع علمي في معرفة حكم أو تبنيه، وتكتسب صفة الإلزام بحسب البعد والإطار الذي يحدها (ديني–اجتماعي–اخلاقي– منهج علمي أو عقلي مجرد).

واختصاراً هي: الأصول أو الجهة التي يرجع إليها في أمرٍ ما». (الزيدي:٤٨: ٢٠١٤)

فالمرجعية لها دور في المحافظة على الهوية الثقافية للمجتمع بحيث أنها هي المعيار أو المقياس التي يقاس به الواقع لأي مجتمع، وبحسب البعد عن هذه المرجعية تتأثر الهوية الثقافية ويحدث بها الخلل، فعلى سبيل المثال: صلة الرحم معناها في الدين ومعناها في الأعراف الاجتماعية.

ويمكن تقسيم المرجعيات إلى أربعة أقسام:

١– دين سماوي لم يدخله التحريف مثل: الدين الإسلامي ومرجعيته القرآن والسنة..
٢– دين أصله سماوي ولكن دخله التحريف مثل: دين اليهود والنصارى وكتبهم.
٣– فلسفة إنسانية أو مذاهب فكرية: ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

- فلسفة كلية (شبه شاملة لجوانب الحياة) مثل فلسفة الديانة البوذية وفلسفة ماركس وغيرها.. وقد تكون فلسفة ماركس مرتكزة على الاقتصاد بالأصل ولكنه جعله الأصل وبقية الجوانب الأخرى تابعة.
- فلسفة جزئية (تشتمل على جانب أو أكثر من جوانب الحياة): مثل بعض الفلسفات المرتبطة بالجوانب الاقتصادية والسياسة والتربوية وغيرها.

الفرق بين البارادايم والايديولوجيا والمرجعية.

البارادايم (النموذج الفكري) يرتبط بالواقع الحالي الذي يعيشه المجتمع أما الايديولوجيا فهي تحدث كردة فعل للواقع الاجتماعي الذي يعيشه المجتمع بحيث يحدث التغيير نتيجة ثورة أو كتابات وغيرها، بحيث تكلف نفسها بوصف الواقع الاجتماعي المأمول بناء على أفكار الثوار أو الكتّاب أو رغباتهم أما المرجعية فهي الميزان الذي يرجع إليه المجتمع لمعرفة طريقهم هل هو صحيح أو لا ويمكن القول إن المرجعية هي الأصل الذي عن طريقه يحافظ المجتمع على هويته الثقافية.

ويمكن القول بأن البارادايم هو تثبيت الواقع الحالي أما الايديولوجيا فهي خروج عن الواقع الحالي إلى واقع مختلف أما المرجعية فهي إرجاع الواقع الحالي إلى الأصل الأول.

الفصل الثالث

الهوية الثقافية

يمكن القول بأن الهوية هي الإطار العام أو الصورة العامة للمجتمع من غير دخول في التفاصيل في الغالب أما الثقافة فهي مرتبطة بالأشياء الجزيئات بالمجتمع مثل الأكل واللبس والاحتفالات وغيرها.

ولابد من التفريق بين الكلام عن المصطلحات عند اجتماعها وعند تفرقها فعندما تذكر الهوية وحدها تستلزم وجود الثقافة بينما تتضمن الثقافة الهوية عندما تذكر وحدها، ومعنى ذلك إن الإطار العام للثقافة هو الهوية، أما إذا اجتمعا فلكل واحدة معناها الخاص، أما الهوية الثقافية فهي تشمل المعنيين وسوف نتكلم بشكل مختصر عن الهوية والثقافة.

الهوية:

يطلق مفهوم الهوية على نسق المعايير التي يعرف بها الفرد ويعرَّف، وكذلك الجماعة والمجتمع والثقافة. (ماكشيللي: ١٩٩٣)

«فالهوية هي مركب من المعايير الذي يسمح بتعريف موضوع أو شعور داخلي ما، وينطوي هذا الشعور بالهوية على مجموعة من المشاعر المختلفة: كالشعور بالوحدة والتكامل والانتماء والقيمة والاستقلال والشعور بالثقة المبني على أساس من إرادة الوجود» (ماكشيللي: ١٩٩٣:١٢).

فكل هوية سواء كانت فردية أو جماعية أو اجتماعية في الغالب لها بداية ولها نهاية، فيبدأ تكوّن الهوية بقلق ثم يذهب مع مرور الوقت حتى تستقر الهوية وتثبت عندما تقوى تتماسك مكوناتها ثم يعود القلق والتذبذب مرة أخرى عندما تضعف ويحدث بها خلل مما يقلل التماسك الداخلي للهوية.

والهوية الفردية تتأثر بالهوية الجماعية أو الاجتماعية والعكس، وذلك إن هوية الأفراد أو الجماعات يمكن أن تخلق هوية مختلفة عن هوية المجتمع مما يسبب خلل فيها ثم ضعف تدريجي لدرجة إنها قد تتغير الهوية الاجتماعية بسبب فرد واحد فقط.

الثقافة:

تطور مفهوم الثقافة على عدة مراحل ذكرها دينيس كوش في كتابه مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية (كوش: ٢٠٠٧) وهو من المفاهيم التي فيها شيء من الغموض ولن يتطرق البحث إلى تعاريفها ولا تطوراتها وسيتناول مفهوم الثقافة وخصائصها وبعض الجوانب المرتبطة بها بشكل عام.

فالثقافة هي ذلك «التراث الحضاري لمجتمع ما ومنهجيته في التفكير وأسلوبه في العيش والمعاملة» (محمد: ٢٠١٠) فالثقافة موروث حضاري ينتقل من جيل إلى جيل عبر اللغة المكتوبة والشفاهية وكذلك الماديات، وهو مرتبط بطريقة التفكير ومنهجيته التي يعالج فيها المجتمع سد حاجاته ومواجهة مشكلاته وتحدياته عن طريق استخدام وسائل وتقنيات موجودة أو استحداث تقنيات ووسائل جديدة تتناسب مع العصر الجديد، وذلك أن كل عصر يختلف عن العصر الذي قبله فتظهر مشكلات وحاجات جديدة مما يحتاج إلى التعامل معها بما يناسبها، وكذلك يرتبط هذا الموروث الحضاري في اسلوب العيش مثل طريقة اللبس والأكل والسكن وغيرها، وذلك يرتبط بأسلوب المعاملة سواء من خارج المجتمع أو خارجه.

فالثقافة نسق، بمعنى إنه كلٌ معقد، وتتكون من ثلاثة جوانب أساسية: (لطفي: ١٤٣١ :٦٩)

١- الجوانب الإدراكية: وتشمل نسق المعرفة الذي يتدرج من المعتقدات إلى التكنولوجيا، وعن طريق هذا الجانب من الثقافة نتمكن على سبيل المثال من معرفة طريقة استخدام آلة معينة في الانتاج.
٢- الجوانب المادية: وهي الأشياء المادية التي تستخدم في تشكيل وتغيير البيئة مثل الأدوات كالفأس والمطرقة وغيرها.
٣- الجوانب المعيارية: وتتضمن المعايير أو القواعد التي تنظم السلوك في المجتمع.

فكل مجتمع لديه هذه الجوانب الثلاثة سواءً كان بدائياً أو متحضراً، فكل مجتمع له ثقافته الخاصة به من حيث الدين واللغة والعادات والتقاليد والأعراف والتاريخ وغيرها.

خصائص الثقافة: (عبدالغني:٢٠٠٦:١١٣)

١- الثقافة إنسانية: لارتباطها بالإنسان لأنها إنتاج عقلي وتنتقل بواسطة اللغة سواءً كانت شفاهية أو رمزية، فالثقافة من صنع الإنسان ولا تنتقل إلا من خلاله.

٢- الثقافة مكتسبة: يتعلمها الإنسان منذ ولادته من خلال التنشئة الاجتماعية مثل طرق التفكير والسلوك.

٣- الثقافة تكاملية: بمعنى إنها تتكون من مجموعة من الأعمال والأفكار المترابطة مع بعضها البعض فهي متكاملة العناصر متداخلة الأجزاء.

٤- الثقافة انتقالية وتراكمية ويحدث فيها تغيير عبر الزمن: وذلك أنها تنتقل من جيل إلى جيل على شكل عادات وتقاليد ونظم وأفكار ومعارف ورموز ع طريق التراث المادي والفكري ثم تضيف عليها الأجيال ما تنتجه فيتراكم بعضه على بعض لدرجة إن الثقافة قد تتغير بنسبة كبيرة جداً.

٥- الثقافة متباينة المضمون متشابهة الكل

فالثقافة لها ثوابت ومتغيرات، فالثوابت كالعقيدة واللغة والتاريخ لا يمكن تغييرها وذلك أنه لو حصل فيها تغيير لتغيرت الهوية الثقافية للمجتمع كما حصل للمجتمع التركي على عهد اتاتورك عندما غير الحروف فقط (الانقلاب اللغوي: Wikipedia) من الفصل بين التراث القديم والجديد بحيث أصبح الجيل الجديد لا يستطيع قراءة التراث القديم إلا من كان متخصصاً، أما المتغيرات فهي يمكن تغييرها مثل بعض الوسائل والأدوات والتقنيات مثل وسيلة الكتابة والنقل والسكن تم تغييرها ولا يوجد إشكاليات.

فقوة الثوابت ووضوحها في ثقافة المجتمع تحمية من التفكك وذلك لأن الإنسان اجتماعي بطبعه، بحيث يتعامل مع الناس من خلال القدر المشترك بينهم وهو ما يسمى الثوابت حتى لو حصل اختلاف فيكون جزئي.

ومن الأصول التي لها دور في المحافظة على الثقافة: العادات، فالعادة هي تكرار سلوك معين حتى يصبح جزء من الإنسان في اللاوعي، وأصل هذه العادة هو التقليد، والعادات نوعين: فردية واجتماعية.

«فالعادات الفردية هي: ظاهرة شخصية يمكن أن تتكون وتمارس في حالات العزلة عن المجتمع، ويكاد يكون الإنسان مجموعة عادات تمشي على الأرض، بل إن قيمته تعتمد في بعض الأحيان على عاداته» (عبدالغني:٢٠٠٦ :١٥٢)

العادات الاجتماعية: هي السلوكيات التي تحدث في المجتمع تبعاً لظروف مشتركة ومارسها عدد كبير من الناس واستمروا على ذلك فترة من الزمن من الممكن أن تصبح عادة اجتماعية، والعادات قد تكون مفيدة للمجتمع مثل آداب السلوك العام وآداب الحديث والطعام وصلة الأرحام وبعضها ضار وسلبي يشيع الفرقة بين أبناء المجتمع مثل تعاطي المخدرات.

والعادة الجماعية تختلف عن العرف، «والفرق بين العادة الجماعية والعرف هو فرق تكويني، فلكي يتكون العرف لابد من توفر عاملين:

الأول مادي يتمثل بعادة قديمة وغير مخالفة للنظام العام.

والثاني معنوي ويتمثل بأن يشعر الناس بضرورة احترام هذا العرف، وبأنه يوجد هناك جزاء يقع عليهم إذا خالفوها، أما العادة فلا يلزم لنشوئها إلا توفر العامل المادي، وهم يحترمونها بالتعود» (عبد الغني:٢٠١٦ :١٥٥)

الهوية الثقافية:

تعتبر الهوية الثقافية هي الصورة العامة التي تعبِّر عن انتماء الإنسان إلى مجتمع معين له ثقافته التي تميزه عن غيره من المجتمعات وتفاعله معها بناءً على فطرته التي خلقه الله عليها، «ولقد فطر الله الإنسان على الاجتماع، فليس بوسع إنسان أن يعيش وحده أو أن ينفرد بنفسه انفراداً تاماً، وليس هناك حادثة نفسية واحدة يمكن أن تتم دون أن تكون لها صلة بأفراد المجتمع الذي

يعيش فيه الإنسان، فكل حادثة نفسية لابد لها من مجال اجتماعي تتم فيه، وكل حادثه اجتماعية لابد لها من أصل نفسي» (مدكور :٢٠١٣: ٣)

ومما سبق يمكن القول بأن المجتمع يتكون من أربعة عناصر: (مدكور:٢٠١٣:٣)

١- الأفراد الذين يكوّنون الجماعة
٢- ما ينشأ بالضرورة عن وجود الجماعة من الصلات أو العلاقات بين أفرادها.
٣- النظام الذي يضبط العلاقات الاجتماعية
٤- العقيدة أو الفلسفة التي تحدد الاتجاهات وتوجد الشعور بالانتماء وترسم نهج السلوك.

وهذه العناصر السابقة عندما تتفاعل وتندمج مع بعضها البعض بسبب بعض العوامل مما يؤدي إلى ظهور صورة عامة لها وهذه الصورة هي الهوية الثقافية التي تتكون من خلال تفاعل الإنسان مع خمسة أمور: هي الدين واللغة والتاريخ والبيئة ومقدرات الأرض، وعلى أساس قوة الارتباط بهذه الأمور من أفراد المجتمع تكون الهوية الثقافية قوية ومتماسكة.

ونتيجة لتفاعل الإنسان مع دينه وبيئته ولغته وتاريخه ومقدرات أرضه – وهي ما يمكن تسميتها بمكونات الهوية الثقافية أو أصول القيم كما سماها الدكتور محمد السعيدي في كتابه الممانعة المجتمعية– تتكون لدينا مجموعة من القيم وهي: الأخلاق والآداب والتصورات أو الرؤى عن الكون والحياة والعبادات والعادات والأعراف، والتفاعل المستمر بين هذه المكونات يترتب عليه استمرار في إنتاج القيم الاجتماعية للأمة بشكل متسق وغير متناقض. (السعيدي أ:١٤ :١٤٣٦)

«وحين نلاحظ أن شيئاً من قيم الأمة نشأ بعيداً عن هذه الأصول أي: نشأ من خلال تفاعله مع دين آخر أو تاريخ آخر أو بيئة أخرى فإن هذا الخلق أو العادة أو هذه الرؤية؛ ستظل ناتئةً مناقضة لسياق المجتمع بأسره، بما يحمله من ثقل ثقافي كبير.

ومقدار معاناة هذه القيمة الوافدة من رفض اجتماعي يمكن أن يكون مقياساً لمدى تفاعل المجتمع مع الأصول المكونة لقيمه الاجتماعية والتي تقدم سردها قبل قليل.

وحين نجد أن المجتمع قد استطاع هضم عادة أو خلق تكونّا خارج محيطه، وغفل عن مناقضتها لسياق هيئته الاجتماعية العامة، فهذا يعني أن هناك نقطة ضعف في تفاعل المجتمع مع دينه وتاريخه وبيئته وسائر الأصول المكونة لقيمه، ومن نقطة الضعف تلك؛ يمكن أن تَفِد إلى المجتمع أشكال مختلفة من القيم الدخيلة؛ سوف تؤدي كثرتها إلى كثرة هيئة التناقضات في المجتمع، الأمر الذي سينفرج حتماً عن صورة لهذا المجتمع ضعيفة الصلة بالأصول المكونة لقيمة، أي: أنها ستنتج لنا مجتمعاً عن منتمٍ لأصله». (السعيدي أ: ١٤٣٦:١٤)

وذكر السعيدي شرطين لكي تنتج الأمة قيم رائدة هما:

١- أن تكون الصلة بين القيم وأصول القيم أو مكونات الهوية الثقافية قوية.
٢- أن يكون تفاعل الإنسان لإنتاج سلوك اجتماعي أو عادة أو عرف أو رؤية خاصة أو عامة مستغرقاً لكامل أصول القيم الاجتماعية، لا مع البعض دون الآخر.

«وقد يتفاعل المجتمع مع بعض أصول قيمه دون بعض، فيتفاعل مع التاريخ أو البيئة أو المقدرات بمعزل عن الدين، وهذا هو سر نشوء أخلاق أو عادات أو تصورات ورؤى غير حميدة؛ بالرغم من كونها ولدت ونشأت في أحضان هذا المجتمع» (السعيدي أ: ١٤٣٦:١٤)

وعندما ننظر إلى مكونات الهوية الثقافية نظرة إجمالية نجد إن هناك مرجعية حاكمة للواقع أو نموذج مثالي يمكن إرجاع الواقع الحالي إليه عندما ينحرف، ومرجعية لفهم الواقع وقراءته، وهذا النموذج السائد للواقع أو الإطار العام هو البيئة بكافة أشكالها وهذه النقطة سوف نتحدث عنها بتفصيل أكثر في موضعها إن شاء الله، وسوف نتطرق للمكونات بشكل مختصر:

أولاً/ الدين

الدين هو الخضوع لشيء بحيث يعتقد الإنسان إن هذا الشيء ينفع أو يضر مما يؤدي إلى إتباعه في أوامره ونواهيه والخضوع لسلطته، بحيث إنه مرتبط بالنظام الفكري والعملي للإنسان، وقد ذكر المودودي في كتابة المصطلحات الأربعة معاني للدين: (المودودي: ١٤٠١ :١١٩)

١- القهر والغلبة من ذي سلطة عليا.

٢- الإطاعة والتعبد والعبدية من قبل خاضع لذي سلطة

٣- الحدود والقوانين والطرق التي تتبع.

٤- المحاسبة والقضاء والجزاء والعقاب. انتهى

والدين هو خضوع بسبب خوف أو محبة أو قناعة أو تسليم لإله أو شيء أو شخص أو فكرة أو سلطة أو جماعة وغيرها وقد يكون خضوع كردة فعل لشيء آخر، وهو مبني على الانتماء الذي يقود الإنسان ويبني توجهاته.

«فالإنسان بفطرته لا يملك أن يستقر في هذا الكون الهائل ذرة تائهة ضائعة إذ لا بد له من رباط معين في هذا الكون يضمن له الاستقرار ومعرفة مكانه في هذا الكون الذي يعيش فيه، ولذلك لابد له من عقيدة تفسر له ما يحيط به وتفسر له مكانه فيما حوله، فالدين ضرورة فطرية شعورية لا علاقة لها بملابسات العصر والبيئة وكم كان شقاء الإنسان حين أخطأ فهم حقيقة هذا الارتباط والتفسير» (الخريجي: ١٤١٠ :٣٧) فالدين ضرورة اجتماعية ونفسية ويعتبر الدين أهم مكونات الهوية الثقافية وذلك لأنه المحرك الأساسي للاعتقاد الذي عن طريقه تتكون اتجاهات الهوية الثقافية، بحيث إن الدين له دور كبير في بناء الهوية الثقافية وتوجيه المكونات الأخرى منها، وذلك إن الدين الصحيح يتميز بالشمولية والكمال في الزمان والمكان أما الأديان الأخرى المحرفة فهي تغطي أغلب جوانب الحياة وله بعض المميزات مثل الشمولية

في بعض الأمور في الزمان والمكان أما الفلسفات الإنسانية فهي تغطي جوانب متعددة في وقت ومكان محدد وذلك إن من وضعها أسقطها على واقعه الاجتماعي في الوقت الذي عاش فيه وقد تكون فيها بعض الفوائد.

ثانياً/ اللغة

اللغة هي المكون الأول والرئيس في الهوية الثقافية بحيث إنه جزء لا يتجزأ من ماهيتها، وهو الذي عن طريقه تنتقل الثقافات التي تميّز الإنسان عن الحيوان ولغة الاتصال بين البشر، وعن طريقه تتميز المجتمعات عن بعضها البعض بحيث إن كل لغة ترتبط بمجتمع معين، وداخل هذه اللغات توجد اللهجات التي تميّز المجتمعات داخل اللغة الواحدة، فمثلاً في اللغة العربية يمكن تمييز اللهجة السودانية عن اللهجة المصرية والسعودية وغيرها وقد تتميّز اللهجة داخل البلد لوحده بحيث إن الجنوب يختلف عن الشمال، فاللغة من العلامات الرئيسية المميزة للهوية الثقافية.

ثالثاً/ التاريخ:

التاريخ هو المسار الزمني الذي مرت عليه الأمة والمجتمعات وما فيه من تراث وثقافة وتجارب سلبية وإيجابية بحيث «يشكّل تاريخ الجماعة منطلقاً لتحديد هويتها، إذ تتجذر هوية الجماعة في تاريخها، ويبرز تاريخ الجماعة في صيغ مكتوبة كما يتجلى في تقاليد الجماعة وأساطيرها وحكاياتها، وينطوي التاريخ أيضاً على الأحداث الفردية والجمعية وعلى صورة أبطالها التاريخيين، كما يشتمل على صور الحياة السياسية وآثارها» (ماكشيللي:١٩٩٣:٢٣) وغيرها من الآراء والاتجاهات والمعايير السلوكية وموروثات الماضي.

فالهوية الثقافية استحضار للماضي الجمعي وتجارب النجاح والفشل للجماعة أو المجتمع وسلوك أبطالها النموذجي وتاريخها بحيث تتشكل الهوية الثقافية وتأخذ هيئتها بالاستناد إلى الماضي ويشكل ذلك الماضي بحد ذاته تاريخ الجماعة والمجتمع.

فالتاريخ يبين الصورة العامة للهوية الثقافية عبر الزمن بحيث يتمكن الإنسان من الاستفادة من التجارب الناجحة والفاشلة والأخطاء وغيرها في الماضي وكذلك يعرف أسباب تغيّر الهوية الثقافية ومدى بعدها وقربها عن النموذج المطلوب الذي يمكن تسميته بالمثال أو المرجعية مما يساعد على رسم الخريطة الموصلة للأهداف المطلوب التي على أساسها تتماسك الهوية.

رابعاً/ مقدرات الأرض

هذا يمكن أن يوصف من ضمن الإنتاج المحلي لاقتصاد المجتمعات المتضمن للمواد الخام والأيدي العاملة، فالإنتاج الاقتصادي المحلي المبني على مقدرات الأرض أقوى من الاقتصاد المعتمد على الإنتاج الاقتصادي المعتمد على الاستيراد الخارجي للمواد الخام وذلك على المدى البعيد لأن الاستيراد نافع ومفيد للدولة والمجتمع ولكن بشكل مؤقت لأنه لو حصل احتكار أو حصار أو منع للمواد الخام أو الاحتياجات الأساسية للمجتمع المعتمدة على الاستيراد لتأثر الاقتصاد المحلي المعتمد على الاستيراد الخارجي مما يوثر على المجتمع وذلك «إن أكثر صور التبعية شيوعاً هي تلك التي تنشأ من القصور الذاتي لدى الأمم، وعجزها عن إدارة شؤونها والدفاع عن مصالحها أمام الأمم الطامعة» (بكار:١٤٣٢:٣٠٩) والاعتماد على مقدرات الأرض والإنتاج الذاتي لابد أن يبنى على رؤية شاملة لأن هناك فئات من المجتمع لم تتعلم أو لا تميل إلى التعليم والدراسة وإنما لديها عناية بالزراعة أو الحرف اليدوية أو فقيرة لا تستطيع على التعليم، وهذا المكون تكمن أهميه في أمرين هما:

١- نوعية مقدرات الأرض: كل مجتمع له مقدرات تختلف عن غيره فالبلاد الساحلية لها مقدراتها الخاصة كروسيا واليابان وفيتنام وتايلند وإندونيسيا وغيرها تتميز في انتاج الأسماك وغيرها من المنتجات البحرية الأخرى والبلاد الصحراوية لها مقدراتها الخاصة بها كتربية الماشية وغيرها.

فطبيعة الأرض تحكم المجتمع من حيث المساحة وعدد السكان والمواد الخام والقابلية للزراعة أو تربية المواشي وغيرها، وذلك إن بعض المجتمعات كاليابان لديها المواد الخام غير كافية مما

يضطرها إلى استيرادها لإنتاج الملابس القطنية (أونو :٢٠٠٧: ٨٥) والسيارات التي اشتهرت بصناعتها.

وفي هذا الجانب تكمن المشكلة عندما يحاول المجتمع تغيير الانتاج وتقليد المجتمعات الأخرى بشيء قد لا يتناسب مع طبيعة الأرض مما يؤدي إلى إضاعة الجهد والوقت والمال في أمور لا تعرف عواقبها، فالأصل بقاء الأصل إلا إذا وجد المجتمع موانع من ذلك الأمر، وليس معنى ذلك عدم تجربة أمر آخر قد ينفع المجتمع ولكن عند تجربة أمر جديد لابد من المحافظة على الأصول والنظر في عواقب الأمور.

٢- استثمار مقدرات الأرض: ويكون عن طريقه استخدامه داخل المجتمع وإيجاد فرص وظيفية أو تصديره إلى الخارج والاستفادة من ثمنه مما يؤثر على الأوضاع الاقتصادية للبلد، ومن أكثر برامج التصنيع الريفي كفاءة للفقراء شبكة مجالس تطوير الأحياء في سيرلانكا التي غطت البلاد كلها عام ١٩٧٢م والتي تقوم بتنفيذ حشد من المشروعات الزراعية والصناعية بمساعدات مالية من الحكومة، بحيث نشأ عن ذلك نحو ٤٠ ألف وظيفة، وكما حصل في الهند ١٩٨٣م بتوسيع قطاع النول اليدوي بنسبة ٦٠٪ عن طريق الاهتمام بالمغازل اليدوية. (بكار:١٤٣٢: ٣١٤)

خامساً/ البيئة

تعتبر البيئة هي الإطار الواسع الذي تدور داخله المكونات الأخرى للهوية الثقافية، بحيث إن الجانب الجغرافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي من البيئة وغيره له انتماء تاريخي وديني ولغوي ومكاني، وقد ذكر مالك بن نبي تفصيل مقارب لهذا التقسيم ولكن بطريقة مختلفة ومجال مختلف ولكن الأثر يبقى على الهوية الثقافية، بحيث إنه ذكر بأن «عناصر الحضارة ثلاثة هي:

١- الإنسان

٢- التراب

٣- والزمن» (نبي: ١٤٠٦: ٤٤)

ثم ذكر أثر الفكرة الدينية على بناء الإنسان الذي بدوره يقوم ببناء الحضارة (نبي: ١٤٠٦: ٦٢).

وعنصر التراب عند مالك بن نبي هو مقارب للبيئة فيقول: (ونحن حين نتكلم عن التراب، لا نبحث في خصائصه وطبيعته، فليس هذا البحث في موضوع الكتاب، ولكننا نتكلم عن قيمته الاجتماعية، وهذه القيمة الاجتماعية، للتراب مستمدة من قيمة مالكيه، فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة، وحضارتها متقدمة، يكون التراب غالي القيمة، وحيث تكون الأمة متخلفة – كما نقول اليوم- يكون التراب على قدرها من الانحطاط) (نبي: ١٣١: ١٤٠٦)

فالبيئة بصورها المتعددة كالسياسة المشتملة على القيادة والقرارات والجماعات والأحزاب وغيرها والأسرة والمدارس والجوانب التربوية والتعليمية المرتبطة بهما والمساجد والقدوات وما يتعلق بهما من العبادة والأخلاق وغيرها من الصور هي المجال الذي تظهر فيه مكونات الهوية الأخرى وبالتمازج بين هذه المكونات تظهر السلوكيات المؤدية إلى صناعة النموذج الفكري الذي بدوره يحافظ على الهوية الثقافية.

ويظهر دور الإيديولوجيات في التأثير على النموذج الفكري من أجل التحديث أو التجديد المتعلق بالتقليد للحضارات الأخرى، بحيث يكون الصراع بين النموذج الفكري والايديولوجيا قوياً بحسب قوة الارتباط بالمرجعية، بحيث لو ارتبط المجتمع بمرجعيته الأصلية وراجعها بشكل متكرر فلن يكون هناك أثر كبير على النموذج الفكري أما لو انشغل عنها بأشياء أخرى كالحداثة والتحضر دون الرجوع إلى المرجعية، فالنموذج الفكري يتكون من خلال تفاعل مكونات الهوية الثقافية واستمرار هذا التفاعل لفترة طويلة مما يؤدي بدوره إلى المحافظة على الهوية الثقافية، وسوف نستعرض أحد المرجعيات المكونة للنماذج الفكرية وهو الإسلام في الفصل القادم وبعض الأمثلة المرتبطة بمنهجية التفكير وأسلوب العيش والمعاملة التي لها دور كبير في تكوين الهوية الثقافية وتوجيه النموذج الفكري.

الفصل الرابع

الإسلام كنموذج للمرجعية

لتوجيه البارادايم

أسباب اختيار الإسلام كنموذج للمرجعية

عندما ننظر إلى النوع الرابع من النماذج الفكرية يمكن أن نذكر بعض المرجعيات التي تحكمها مثل الإسلام النصرانية واليهودية وغيرها وقد اخترنا دين الإسلام كمرجعية للنموذج الفكري أو البارادايم وذلك لعدة اعتبارات منها إن الإسلام مرجعية تم تطبيقه على أرض الواقع ويمكن تطبيقه على أرض الواقع وذلك لأنه يوجد فيه مثال يقتدى كشخص قدوة وكمجتمع قدوة بحيث إن الرسول ﷺ له سيرة قولية وعملية وليست تنظيرية وهذه السيرة اشتملت على أربعة خصائص مهمة جعلت منها مرجعية ثابتة لا تتغير مع مرور السنين وهي: (الزيد:١٤٢٤:٩)

١- إنها سيرة تاريخية يشهد التاريخ بصحتها.
٢- إنها جامعة لجميع أطوار الحياة وأصناف المجتمع وجميع شؤون الحياة.
٣- إنها كاملة لانقص فيها كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]
٤- إنها سيرة قولية وعملية تم تطبيقها على أرض الواقع ويمكن تطبيقها في أي مكان وزمان، وليست قولية تحتوي على النظريات والأقوال كما في بعض الفلسفات مثل كتاب الجمهورية لافلاطون.

وبما إن الحياة الاجتماعية لها نموذجان يمكن من خلالهما معرفة الهوية الثقافية ومقياس المسافة الفاصلة بين ما هو كائن وبين ما ينبغي أن يكون وهما:

١- نموذج الواقع الحالي: وهو ما عليه المجتمع الآن من جميع النواحي، ويمكن معرفته من خلال الملاحظة المباشرة أو البحوث الميدانية.
٢- نموذج الواقع المأمول أو المثالي: وهو الوضع الذي يريد المجتمع أن يصل إليه، ويمكن معرفته من الصورة المأمولة أو المثالية للفرد وكذلك الصورة المثالية للمجتمع، بحيث يمكن لأي مجتمع أن يقارن واقعه الحالي مع هذه الصورة وكذلك الأفراد.

فالصورة المثالية ضرورة سواء للأفراد أو للمجتمعات، وذلك لمعرفة حدود الإنسان والمجتمع ووضع الإطار العام للحركة والتغيير المطلوب، وضبط الغايات والوسائل والتخطيط وتحديد الفترة الزمنية المطلوبة وغيرها. (قطب: ١٤١٤: ٣٧٨)

وسوف نذكر مثال لتوضيح الواقع والمثال، بحيث «إن الجسم الكامل المتعادل المتزن بلا اختلال لا وجود له في عالم الواقع ومع ذلك فنحن في الفن أو التشريح أو الطب نرسم الصورة المثالية الكاملة لجسم الإنسان ونشاطاته. فلماذا نرسمها؟

قد يكون الفن نزوعاً "خيالياً" أما التشريح والطب فهما علمان " واقعيان" لا يهتمان بالخيال، فلا بد إذن أن تكون هناك ضرورة لما يرسمانه من صورة الكمال، إن الأصل في الكيان الجسدي أو النفسي هو الصحة والمرض هو الطارئ وهو الانحراف، وكون الإنسان بكيانه الجسدي والنفسي عرضة دائماً للإصابة بالأمراض، لا ينفي أن الأصل هو الصحة، ولا ينفي وجوب المحاولة الدائمة للرجوع إلى حالة الصحة، بقدر الإمكان، ومن ثم ضرورة الصورة الكاملة.

فلكي نعود إلى الصحة –أو نحاول العودة –يجب أن نعرف ماهي الصورة الصحيحة التي ينبغي أن نعود إليها، ونعرف درجة الانحراف للشخص المريض ونرسم العلاج، في الطب نرسم صورة كاملة للقلب المثالي والكبد المثالية والمعدة المثالية.. إلخ. ونعرف في الوقت ذاته أنها صورة لا توجد في الأجسام، وفي علم النفس نرسم صورة كاملة للدوافع السوية والضوابط السوية والتوازن الكامل والاعتدال، ونعرف في الوقت ذاته أنها صورة لا توجد في واقع النفوس.

ونرسمها لأننا في حاجة إليها، فلكي نعالج قلب المريض ينبغي أن نعرف فيم اختل عن وظيفته المثالية، وبأي قدر كان الاختلال، وكذلك النفس» (قطب:١٤١٤: ٣٧٨)

«ولكن هناك حقيقة ينبغي أن نلتفت إليها، من أين جئنا بالصورة المثالية؟ وكيف قررنا إن هذا هو المثال؟ ذلك سؤال له أهميته، لنضمن لأنفسنا أننا لا نزوّر من عندنا مثالاً زائفاً

لا يتحقق أبداً في جزئية من جزئياته، وعندئذٍ يفقد هذا المثال قيمته ولا يصلح مرجعاً تقاس عليه الأشياء.

فأما في عالم الجسم فقد اتخذ المثال من جزئيات متعددة، متفرقة في أجساد كثيرة كل جزئية منها قد بلغت الكمال، وذلك حقيقة أنها لا تجتمع كلها بمثاليتها في جسم واحد، ولكن يحدث في عالم الواقع أن يوجد قلب مثالي في شخص، وكبد مثالية في شخص آخر ومعدة مثالية في شخص آخر، ومن هذه الجزئيات المتفرقة عرفنا الوظيفة المثالية لكل عضو، وجمعنا الصورة المثالية للجسم كله لتكون مرجعاً في علم الصحة وعلم المرض، وفي عالم النفس كذلك.

تتفرق المثاليات في نفوس شتى ولا تجتمع في نفس واحدة كل المثاليات، ولكن توجد مع ذلك في نفس بشرية كاملة هي مرجع القياس وهي نفس محمد بن عبدالله ﷺ أكمل نفس خلقها الله على النموذج الرباني الذي ارتضاه الله للإنسان وطلب من الناس تحقيقه، كُلٍ وما يستطيع» (قطب:١٤١٤:٣٧٩)

كما أننا لا نتطلب من أي جسم أن يكون مثالياً خالصاً، ولكنا نتطلب منه أن يحاول ذلك دائماً بقدر ما يستطيع، فكذلك لا نتطلب من أي نفس أن تكون منطبقة على النموذج الأعلى الذي رسمه الله للناس، ولكنا نتطلب منها أن تحاول دائماً بقدر ما تستطيع، وكما أننا نعتبر الانحرافات البسيطة عن الحالة المثالية للجسم طبيعية لا تحتاج إلى علاج، فكذلك الانحرافات النفسية البسيطة أمراً سوياً لا يحتاج إلى علاج، ولكنا نحتاج إلى العلاج حتماً حين يصل المرض إلى تعطيل دورة الحياة سواءً في عالم الأجسام أو في عالم النفوس.

مهمة الصورة المثالية إذن إنها تساعدنا على العلاج، وهي عملية لا غنى للإنسان عنها على مدار النفوس والأجيال، -بحيث أن- مهمتنا في تربية الجسم ليست علاجه وإنما وقايته من الأمراض، وقد تكون الوقاية الكاملة مستحيلة ولكن نحاول بقدر المستطاع ومهمتنا الأولى في تربية النفس(الفرد) هي وقايتها من الانحراف مع أن الوقاية الكاملة

مستحيلة ولكن ينبغي أن نحاول قدر المستطاع. (قطب:١٤١٤: ٣٨٠) وعندما ننظر إلى المجتمع ينطبق عليه ما ينطبق على الأجسام والنفوس أو الأفراد.

ويمكن تشبيه هذه الرحلة ما بين الواقع الحالي إلى الواقع المأمول مثل صعود شخص إلى منزله على الدرج(السلَّم) من الطابق الأول إلى الطابق العاشر بالمنزل، وذلك إن المسافة بين المجتمع وهويته الثقافية المطلوبة هي على حسب قربه منها كما إن الشخص كلما صعد طابقاً اقترب من منزله وكذلك المجتمع يعتمد قربه من هويته الثقافية المطلوبة على مدى تطبيقه ما في النموذج المأمول أو المثالي، والعكس كلما تساهل أفراد المجتمع في تطبيق هذا النموذج كلما ابتعدوا عن هويتهم الثقافية المطلوبة.

ولهذا سوف نذكر بعض النماذج لمجتمع قريش قبل الإسلام ونقارنه بالمجتمع الذي كان في عهد الرسول ﷺ وذلك من خلال بعض الأمثلة المرتبطة بسيرته ﷺ.

المسار التاريخي للهوية الثقافية للمجتمع الإسلامي على عهد النبي ﷺ:

قبل أن نتعرض للهوية الثقافية للمجتمع الإسلامي على عهد النبي ﷺ لابد من ذكر نبذة مختصرة عن حال العرب قبل الإسلام من أجل معرفة الفرق بينهما من حيث الوضع الديني والاجتماعي والاقتصادي وغيرها وذلك لإن كل مجتمع لا يخلو من وجود أخطاء فردية أو جماعية، فطبيعة النفس البشرية تحمل الخير والشر كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا۝١٠﴾ [الشمس: ٧-١٠] والإنسان لديه الاختيار في صنع عاداته وتقاليده وليس العبرة في الأمور العارضة من الأخطاء لأن طبيعة الإنسان وارد منها الخطأ ولكن الإشكالية تكمن عندما يكون الخطأ عادة متكررة وقد يكون ديناً يعبد، فالانحراف الفكري أو السلوكي اليسير من الأفراد أو المجتمعات وارد ويمكن تداركه وهو ما يمكن تسميته الخلل في النموذج الفكري بحيث يكون الانحراف في البدايات بالأفكار والسلوك وإذا لم يتم تعديله يتحول مع مرور الوقت إلى عادة وقد يتحول إلى عقيدة، وعندما يتحول إلى عادة أو عقيدة هنا تتأثر الهوية الثقافية فيتحول الخلل إليها،

وهذه التغييرات لا تحدث بسرعة، وينبغي التفريق بين التغيير في الأدوات والتقنية والتغيير في الفكر والعقيدة، فالأدوات والتقنيات والوسائل أسرع من تغيير الفكر والعقائد.

أولاً/ ما قبل بعثة النبي محمد ﷺ

الحالة الدينية عند العرب

كان معظم العرب يدينون بدين إبراهيم عليه الصلاة والسلام منذ أن نشأت ذريته في مكة وانتشرت في جزيرة العرب، فكانوا يعبدون الله ويوحدونه ويلتزمون بشعائر دينه الحنيف حتى جاء عمرو بن لُحَي رئيس خزاعة، وكان قد نشأ على أمر عظيم من المعروف والصدقة والحرص على أمور الدين، فأحبه الناس ودانوا له، وظناً منهم أنه من أكابر العلماء وأفاضل الأولياء.

ثم أنه سافر إلى الشام، فرآهم يعبدون الأوثان فاستحسن ذلك وظنه حقاً، لأن الشام محل الرسل والكتب، فقدم بصنم اسمه هبل وجعله في جوف الكعبة ودعا أهل مكة إلى الشرك بالله، فأجابوه ثم تبعهم أهل الحجاز، ثم انتشرت الأصنام في مكة خاصة وفي جزيرة العرب عامة (المباركفوري:١٤٣٥:٣٣).

وكانوا يعبدون الأصنام وكانت لهم تقاليد وأعمال مرتبطة بعبادة الأصنام، وهذه بعض الصور من عبادتهم لها: (المباركفوري: ١٤٣٥:٣٦)

١- كانوا يعكفون على الأصنام ويلتجئون إليها ويهتفون بها ويستغيثون بها عند الشدائد ويدعونها لحاجاتهم، معتقدين أنها تشفع عند الله وتحقق لهم ما يريدون.
٢- وكانوا يحجون إليها ويطوفون حولها ويتذللون عندها ويسجدون لها.
٣- وكانوا يتقربون إليها بأنواع القرابين، فكانوا يذبحون وينحرون لها بأسمائها في كل مكان.
٤- كانوا يخصون لها شيئاً من مآكلهم ومشاربهم حسبما يبدوا لهم، وكذلك حرثهم وأنعامهم، ومنها النذر في بعض الحرث والأنعام بحيث يحجرونها ولا يستفيدون منها ولا يركبونها كما قال الله تعالى﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا

إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴿١٣٨﴾﴾ [الأنعام: ١٣٨].

وغيرها من الصور المرتبطة بتعلقهم بغير الله وفعل بعض العادات التي لا يقبلها العقل ولكنها عقيدة وهذا النموذج من الاعتقاد يمكن تصنيفه من النوع الثالث من النماذج الفكرية التي ذكرناها وذلك لعدم وجود أسباب واضحة لتلك الأفعال وأخذها كعادات وتقاليد وليس لها مرجعية واضحة وإنما يتم أخذها عن طريق تقليد الآباء والأجداد من دون مرجعية واضحة كما قال الله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء: ٧٢-٧٤]

وكذلك قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴿٢٣﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴿٢٤﴾﴾ [الزخرف: ٢٣-٢٤].

الحالة الاجتماعية عند العرب

سوف نذكر بعض العادات والتقاليد الحسنة والسيئة مما يكشف بعض مظاهر الحياة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام فمن العادات الحسنة الصدق في الحديث الذي كان عند العرب في الجاهلية فزاده الإسلام تقريراً وتتميماً، وإكرام الضيف والوفاء بالعهود واحترام الجار وتقرير مبدأ الحماية والشجاعة وغيرها من العادات الحسنة التي أقرها الإسلام أما العادات السيئة فمنها القمار والميسر وشرب الخمر والاجتماع عليها ونكاح الاستبضاع وهو عندما تطهر المرأة يطلب لها أشراف القوم وخيارهم نسباً وأدباً ليطؤوها من أجل أن تنجب ولداً يرث صفات الكمال التي يحملونها أولئك الرجل وكذلك قتل البنات وهنَّ صغيرات خوفاً من العار واتخاذ الحرائر العشاق والبغاء والعصبية القبلية والحرب من أجل السلب والنهب وغيرها من العادات التي لم يقرها الإسلام. (الجزائري:١٤٢٦: ٢١)

الحالة الاقتصادية

بما أن جزيرة العرب صحراوية فقد كانوا يعتمدون على الماشية بشكل عام بحيث يعيشون على لحومها وألبانها خاصة في مكة، ثم سخر الله لقريش رحلة الشتاء والصيف كما قال الله تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢﴾ [قريش: ١-٢] وكان غالب اعتماد أهل مكة على التجارة بعكس أهل المدينة الذين كانوا يعتمدون على الزراعة، وقد كانت الصناعة شبه معدومة إلا أشياء يسيرة كالحياكة والدباغة. (المباركفوري: ١٤٣٥: ٤٤) ووجدت بعض صور الرق والعبودية بحيث إن الأيدي العاملة كانوا عبيداً ولما جاء الإسلام حثّ على إعتاق العبيد، وهذه نبذه مختصرة عن واقع العرب قبل الإسلام وسننتقل إلى تاريخ البعثة وسنذكر بعض النماذج التوضيحية للفرق بين ما كان عليه العرب قبل البعثة وبعدها.

ثانياً/ ما بعد بعثة النبي ﷺ

يميل الناس إلى الرغبة في الوصول إلى الكمال وذلك من خلال أنفسهم أو من خلال علاقاتهم، وذلك إن الإنسان يحب أن يكون أفصل الناس ويحب أن يبني علاقاته من أفضل الناس سواء من الناحية الشخصية أو من الناحية الاجتماعية أو غيرها وذلك من أجل القرب منه من أجل الاقتداء به أو الاستمتاع بصحبته، وكل إنسان يحب إلى الانتماء إلى أفضل مجتمع سواء من الناحية الدينية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية غيرها لأن الانتماء فطرة بشرية كما ذكر ابن خلدون ما معناه إن الإنسان اجتماعي بطبعه، أي لابد له من الاجتماع مع غيره (خلدون، ١٤٣٤: ٤٦) وقد تكون هذه الطبيعة الفطرية ذات أثر عكسي على الإنسان بحيث إن المغلوب مولع بالاقتداء بالغالب لأن النفس تعتقد إن الكمال فيمان غلبها فتنقاد إليه، وهذا الانقياد يكون إما بسبب تعظيم الغالب والاعجاب به (خلدون: ١٤٣٤: ١٣٧)أو بسبب الخوف منه وهذه الطبيعة تجعلنا نبحث حول القدوة في الأفراد وكذلك في المجتمعات مما يجعلنا نرجع إلى الإنسان الذي بلغ الغابة في الكمال البشري من الناحية الشخصية والخَلقية والخُلُقية وأفعاله وأقواله وهو نبينا محمد ﷺ كما قال الله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ [القلم: ٤]وأمرنا الله بالاقتداء به كما قال سبحانه وتعالى:﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

كَثِيرًا﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١] ومجتمع الصحابة في عهد النبي ﷺ أكمل مجتمع فنعود إليه لنقارن ما بين الواقع الآن والواقع المأمول أو المثالي لنرى المسافة الفارقة ما بين هويتنا الثقافية وهوية ذلك المجتمع، فنبدأ من حيث بدأ الرسول ﷺ في التغيير وبداية رحلة الدعوة والإصلاح فقد بدأ بأهل بيته وهي زوجته خديجة –رضي الله عنها– فالأقربون الأقربون كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤] فبدأ بالإصلاح بأقرب الناس إليه، وذلك بالدعوة الفردية، لأن الناس لا تقبل التغيير الكلي مرة واحدة وقد كان للعقيدة والأخلاق مكانة عظيمة في بداية دعوة الرسول ﷺ وذلك لأن العقيدة توحد القلوب وتجمع الصفوف أما الأخلاق فهي تضبط التعامل بين الناس ومع الناس.

فالإسلام أقرَّ العادات الحسنة عند العرب والأخلاق الفاضلة كالصدق والعفة وغيرها ولكن لم يقرّ العادات والسلوكيات السيئة مثل العصبية وأخذ الثأر وقتل الأولاد خوفاً من الفقر كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴿٣١﴾﴾ [الإسراء: ٣١] وغيرها من العادات السيئة.

نموذج الإسلام في الإصلاح والتغيير للهوية الثقافية

وقد مرت الدعوة النبوية على عهدين هما العهد المكي وكان ثلاثة عشر سنة والعهد المدني وهي عشر سنوات، فالعهد المكي مرّ ثلاث مراحل: (الماركفوري:١٤٣٥:٦٧)

١- الدعوة السرية لمدة ثلاث سنوات بسبب عدم القبول من كفار قريش وذلك لأن النموذج الفكري (البارادايم) الشائع هو عبادة الأصنام والعادات الجاهلية حتى إن كفار قريش لما دعاهم الرسول ﷺ إلى عبادة الله وحده قالوا أجعل الآلهة إلها وحداً كما قال الله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦﴾ [ص: ٤-٦] فرفضت قريش لهذا الدين الجديد بسبب تهديده لهويتهم وذهب كبارهم يحذرون الناس من طاعة الرسول محمد ﷺ وذلك لخوفهم على تغيير عقيدتهم ودينهم ومن ثم هوية المجتمع كامله مع أنهم يعرفون إن النبي ﷺ صادق وكانوا يدعونه بالصادق الأمين ولكن هذه أثر البارادايم أو النموذج الفكري، وبذلك بدأت دعوة الرسول ﷺ سرية

٢- الدعوة الجهرية بعد اسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم- وقد كان من غير صدام ولا قتال مع الأخرين، وذلك إن القوى غير متكافئة، ومن هذه المرحلة بدأت ردّات الفعل القوية من كفار قريش للحفاظ على هويتهم الثقافية مثل إيذاء النبي ﷺ وما حصل من حصار في الشعب وغيرها من المضايقات ولكن كان هدف النبي محمد ﷺ واضح وهو تبليغ شريعة الله سبحانه وتعالى وكان يفعل المطلوب من كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝٥٤﴾ [النور: ٥٤]

٣- الدعوة خارج مكة: وهي المرحلة التي بدأت تبرز فيها الهوية الثقافية للإسلام بحيث صار للإسلام أرض وبدأ التاريخ الهجري منها عندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة.

وقد فعل النبي ﷺ عدة أمور عندما وصل إلى المدينة ومنها: (الجزائري: ١٤٢٦:١١٥)

١- بناء المسجد النبوي الشريف الذي هو المنطلق لكل خير وكمال تطلبه الأمة المسلمة، وبناء الحجرات الطاهرات من أجل الاستقرار.

٢- احضار أسرة النبي ﷺ وأبو بكر الصدّيق.

٣- التواصل مع اليهود من أجل ضبط الأوضاع الاجتماعية والسياسية وغيرها لأنهم من سكان المدينة

٤- وضع ميثاق للمهاجرين والأنصار متضمناً موادعة اليهود بالمدينة وذلك من أجل معرفة الحقوق والواجبات والحدود من الجانب الأمني والمالي والسياسي وغيرها ومن أهم هذه البنود في الميثاق إنه عندما يختلف الناس يردون الأمر لله ورسوله ﷺ.

٥- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

ومن هذه المرحلة بدأت رحلة البناء الفعلي للهوية الثقافية للمسلمين بحيث إن الدين صار هو الحاكم لكل فعل وقول وذلك لوجود قوانين وقواعد وضوابط تتحكم في أفعال الملمين وأقولهم وأفعالهم، وفي هذه المرحلة نزلت أكثر الأحكام العملية مثل الصيام والجهاد والحج والحجاب وغيرها.

وسوف نستعرض بعض الأمور التي تعطينا بعض التصور عن الإسلام كمرجعية ضابطة للنموذج الفكري:

أولاً/ منهجية التفكير

وضع الإسلام منهجية للتفكير تحمي العقل من الانحرافات وذلك بوضع قواعد عامة وخاصة وضوابط لحماية الإنسان من الانحرافات التي تحدث بسبب ضغط الواقع أو الخوف من الواقع والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية ويكون ضبط المنهجية من خلال عدة أمور منها:

أولا/ اللغة العربية الفصحى هي الأصل في فهم الدين كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴿٢﴾﴾ [يوسف: ٢] بحيث (أنزله باللسان العربي، أشرف الألسنة وأبينها، المبين لكل ما يحتاجه الناس من الحقائق النافعة، وكل هذا الإيضاح والتبيين ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴿٢﴾﴾ أي لتعقلوا حدوده وأصوله وفروعه وأوامره ونواهيه(السعدي:١٤٣٥:٤٠٣) ولذلك لابد من التفريق بين اللغة العامية الدارجة واللغة العربية الفصحى لأن الخلط بينهما يؤدي إلى الفهم الخاطئ لنصوص الكتاب والسنة، وذلك لأن للغة العربية قواعد وضوابط تحكمها.

ثانياً/ ضبط المفاهيم

وسوف نستعرض عدداً من المفاهيم المرتبطة بضبط المنهجية الفكرية:

- مفهوم العبادة: ومعناها الخضوع والتذلل لله سواءً باختيار الانسان أو بغير اختياره، فالإنسان عبد لله لا يخرج عن معنى العبودية وليس حراً في الأصل وحريته محدودة ومقيدة مهما بلغ من القوة، ولذلك فالعبادة نوعان من حيث الاختيار: (العثيمين أ: ١٤٢٤ :٣٨)

١- العبادة الكونية: وهي الخضوع لأمر الله الكوني وهي شاملة لجميع الخلق لا يخرج عنها أحد بحيث إن الإنسان خاضع لأمر لله ولا يستطيع الخروج عن ملك الله ولا عن السنن والقوانين التي وضعها الله في الكون، وهذه العبادة

شاملة للمسلم والكافر كما قال الله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٩٣]

٢- العبادة الشرعية: وهي الخضوع لأمر الله الشرعي وهذه خاصة بمن أطاع الله تعالى وأتبع ما جاءت به الرسل مثل قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣]

وهذا التقسيم يوضح معنى العبادة في قوله تعالى:﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات: ٥٧] إن الله خلق الخلق في الأصل للعبادة وخلقهم على الفطرة وركز في نفوسهم الخير والشر كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴿٨﴾قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا٩﴾ [الشمس: ٧-٩]وأعطاهم حرية الاختيار بين طريق الخير وطريق الشر ثم أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب ودلهم على الطريق المستقيم فمن اتبعه نجا وفاز بالجنة ومن تركه هلك وخسر كما قال ﷺ: «كل أمتي يدخل الجنة إلا من أبى! قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟! قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» (صحيح البخاري: ١٤٢٩:٦٠٦).

وأصل العبادة هو التسليم لأمر الله والخضوع «وحين نرسّخ مفهوم الاستعباد التام لله تعالى، فإننا نرسخ أيضاً واجب التسليم لله عز وجل ولأمره ونهيه، والرضا بما أمر والتسليم بما قسم وقدر، فالتسليم لله وحده كفيل بالقضاء على كل مطالبة تخالف النص وتستند إلى ما يعرف بحقوق الإنسان» (السعيدي ب: ١٤٣٨:٤٧)

- مفهوم الرزق:

عندما يذكر الرزق يتبادر إلى الأذهان المال وهذا المعنى الشائع بين الناس ولكن مفهوم الرزق أوسع من المال، فالرزق له معنى واسع جداً، فالصحة رزق وكذلك الإيمان والراحة النفسية والراحة الجسدية والعلم والهداية والزوجة والذرية والوقت والمكانة الاجتماعية والوظيفة والجاه والأخلاق وغيرها من المعاني وهذا يشتمل عليه قول الله عز وجلّ عندما اعترض كفار قريش

على نبوة نبينا محمد ﷺ كما قال الله سبحانه وتعالى:﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴿٣١﴾أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣١-٣٢] ولذلك لو حصرنا مفهوم الرزق في المال لحصل إشكال كبير وأسئلة كثيرة منها: لماذا فلان غني وأنا فقير؟ أين العدل؟ ولكن الله قسّم الأرزاق بين الناس بالتساوي فمنهم من أعطاه الله المال والمكانة والجاه ومنهم من اعطاه الله الصحة والوقت والراحة الجسدية وتختلف القسمة من شخص إلى آخر، ثم ابتلاهم بهذه القسمة فمنهم من نجح في الامتحان ومنهم لم ينجح.

- مفهوم الابتلاء:

لطالما ارتبط مفهوم الابتلاء بالمرض والفقر والقلة والضعف والمسكنة ولكن مفهوم الابتلاء له مفهوم أوسع في الإسلام وذلك إن الابتلاء يكون بالخير والشر كما قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥]ومن الأمثلة على الابتلاء إن الله ابتلى قارون بالغنى فطغى وكفر وابتلى بلال رضي الله عنه بالرق والتعذيب وصبر وله الجنة، فالنظر القاصر للحياة قد يغرّ الإنسان ويجعله لا يصبر ولكن النظر بعين المنهجية الإسلامية تجعل الإنسان يرضى ويركز على الهدف المطلوب من الحياة وهو حسن العمل كما قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴿٢﴾﴾ [الملك: ٢]

وهذه المفاهيم التي ذكرنا من المفاهيم الأساسية التي تساعد على ضبط منهجية التفكير في الإسلام، وهناك مفاهيم أخرى ولكن سنكتفي بما تقدّم.

ثالثاً/ وضع قواعد لضبط محتوى التفكير.

يمكن تشبيه عقل الإنسان بالطاحونة التي تضع بها القمح فتخرجه دقيقاً ولكن لم يتغير إلا شكله ولكن حقيقته ثابته، ويكون الإشكال عندما يختلط مع القمح أي شيء آخر كالرمل أو الشوائب الأخرى فتتغير حقيقته، ومن هذا المثال نعرف إن العبرة في حقيقة الأشياء وليس

في شكلها أو أسمها، وبذلك جعل لنا الإسلام قواعد حاكمة لحفظ الدين من التحريف ومن الترك ومن هذه القواعد:

١- إن الدين كامل كما قال الله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] بيحث لا يحتاج المسلم إلى تشريعات جديدة تكمل الدين ولكن يبقى الإشكال عندما يتسأل الناس عن المكتشفات العلمية الهائلة التي لاتوجد في القرآن والسنة فتكون الإجابة عن هذه النقطة إن أصول العلوم كلها موجوده في القرآن كما قال الله تعالى:﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴿٥٤﴾﴾ [الكهف: ٥٤] ولكن الزيادات التي أتت بها العلوم الحديثة تأتي من وجهين:

- «زيادة الأنواع، فكم اكتشف الناس ولا زالوا يكتشفون من أنواع الحيوانات والنباتات والمخلوقات العلوية والسفلية وأحوالها وأصافها ومقاديرها مالم يسمه القرآن ولم يشر إليه إلا إجمالاً ضمن ذكر الخلق أو بعض أجناسهم بالعموم.
- زيادة التفصيل العلمي الدقيق بالمخلوق ذكره القرآن ولم ينص على هذا التفصيل، مثال ذلك النحل أشارت إليه الآية الكريمة ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ [النحل: ٦٨] وقد ذكر بعض العلماء أن النحلة تجعل خليتها سداسية الشكل لأن زوايا الرباعي ضيقة لا تستطيع النحلة الوصول إليها» (العريفي: ١٤٣٥: ٤٢) وغيرها من التفاصيل التي أشار إليها القرآن وكذلك أمر الإنسان بالبحث في تفاصيلها كما قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت: ٢٠]. وكل هذه الزيادات معرفتها قد تنفع الإنسان وقد تضره ولكن عدم معرفتها لايضره.

٢- **مصادر الدين ثابتة لا تتغير هي الكتاب والسنّة**، وقد وضع العلماء قواعد وأصول لمعرفة الحديث الصحيح من الضعيف ومعرفة الحكم الصحيح من غيره ووضعوا طرق الوصول إلى الأحكام، وذلك إنه ليس كل شخص يتصدّر في علوم الشريعة إلا من لديه المحتوى المعرفي الصحيح والكافي وعلوم الآلة الضرورية كاللغة وأصول الفقه.

٣- **إن أساس الدين هو التوحيد،** كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥] بحيث إن توحيد العقيدة أصل في التماسك الاجتماعي وذلك بإن كل الناس عقيدتهم واحدة مما يجعل أعمالهم متماثلة أو متقاربة في الأصول الكلية أو القدر المشترك من أمور الحياة مثل الأمانة والصدق وغيرهما مما يؤدي إلى اتفاق الآراء أو تقاربها على الأقل.

٤- **من الأمور الأساسية في المحافظة على العقيدة التلقين والتكرار للعبادات أو العادات** وذلك مثل الصلوات الخمس وأذكار الصباح والمساء وصلة الرحم وكذلك التأثر بالرفيق كما في اختيار الصديق وهو ما يسمى بالعدوى النفسية بحيث إن اجتماع القدر المشترك يكون النموذج الفكري بسبب العدوى النفسية.

٥- **كل من أراد وضع قوانين أو قواعد ليس لها أصل في الدين فهي مردودة** كما قال ﷺ «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» رواه البخاري ومسلم.

٦- **قاعدة "الحكم على الشيء فرع عن تصوره"** وهذا يعني إننا «إذا لم نتصور هذا الشيء كيف وقع فإننا لانحكم عليه» (العثيمين ب:١٤٣٩: ٣٣٠) وإذا حكمنا عليه بدون تصور صحيح قد نقع بالوهم والخطأ، ومن هذه القاعدة يمكن أن تنكلم بإيجاز عن مصادر التصورات: (السعيدي ب: ١٤٣٨:٢٨)

١- الحس: والتصورات الناشئة عن تصورات الحس من أقوى التصورات على الإطلاق، وكان استخدام القرآن لها كثيراً كمقدمات صغرى وكبرى للوصول إلى نتائج عقلية، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠] فذكر الإبل والسماء والأرض والجبال كمصدر حسي إلى الوصول إلى أمر غيبي.

بحيث إن الحس يبقى عاجزاً عن رصد كثير من التصورات التي يحتاج الإنسان إلى الحكم عليها لحياته العامة الاجتماعية، أو لتسيير حركته العلمية أو البرهنة على قناعاته الدينية،

وهذا العجز حاول القدماء التخلص منه بطرق منها: اعتبار التواتر المعنوي قائماً مقام الحس كتصور المدن النائية أو الشخوص التاريخية القديمة وهو حل لم ينكره القرآن بل أقره وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴿٣٨﴾﴾ [العنكبوت: ٣٨]

فالأمم السابقة كعاد وثمود كانت معروفة عند العرب بطريق التواتر المعنوي، وأقر الله هذه المعرفة وبنى سبحانه وتعالى خطابه عليها: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴿٢٦﴾﴾ [السجدة: ٢٦]

٢- الفطرة: وإن كان التصورات المنبعثة منها أقل بكثير مما ينتج عن المصادر الأخرى، إلا أنها تدل على أعظم مدلول وهو الله.

٣- الوحي: وهو مصدر يكون وحيد لتصورات مفردات عالم الغيب، كالملائكة، والجن والشياطين، والجنة والنار والحوض والصراط ونعيم القبر وعذابه، وبذلك يكون مصدراً وحيداً أيضاً لما يتعلق بها من تصديقات.

وهو أيضاً مصدر وحيد لتصور مفردات الدين، كالصلاة وغيرها.

٤- خبر الموثوق: وهو مصدر جميع التصورات بشرط أن يكون الموثوق منطلقاً في نقله عن أحد مصادر التصورات الصحيحة المتقدمة.

ولذلك العقل ليس مصدراً للتصورات في الأصل وذلك لأن التصورات موجودة في الخارج، والتعرف عليها يتم بالطرق الأربعة المتقدمة، وليس للعقل قدرة على استحداث تصورات من تلقاء نفسه، وإنما هو ذاكرة للتصورات التي يتعرف العقل بطريق الحس أو الوحي أو الخبر الموثوق أو الخبر المتواتر. (السعيدي ب: ١٤٣٨: ٢٩)

يمكن للعقل تكوين صورة عن طريق التذكر لأشياء موجودة في العقل أو عن طريق التركيب أو التخيّل أو الانتزاع، بل إن العقل هو الوسيلة للربط بين المتصورات لإحداث التصديق. انتهى.

ومن أخطر الأسباب التي تسبب اضطراب فكري اعتبار العقل مصدر للتصورات، ومن وذلك إن العقل لا يمكن أن يحيط بكل شيء وقد يكون صورة بطريقة التركيب خيالية أو موهومة، ومن الأمثلة على اعتبار العقل مصدر للتصورات تقديم العقل على نصوص الوحي وكذلك من ناحية الحس استخدام المخدرات وتجربتها من أجل معرفتها، فهذه المغامرة مبنية على إن العقل يعرف النتائج أو أن الشخص يعتقد إنه يستطيع التغلب على الإدمان بعدما يقع ولذلك العقل وحدة قد يخدع الإنسان إذا حكم بناء على تصورات وهمية غير صحيحة.

فالعقل مكون رئيسي للمعرفة وليس للتصورات بحيث إنه من خلال الربط أو التركيب أو الدمج أو الانتزاع يمكن أن يصنع المعرفة، ولذلك لابد من التفريق بين المعرفة والتصورات، فالمعرفة دائرة أوسع من التصورات، بحيث يعتبر العقل مصدر للمعرفة ولا يعتبر مصدر للتصورات لأن العقل آلة للحفظ والتفكير والتركيب والتنظيم وغيرها من مهارات العقل.

ويمكن تقسيم الإدراك أو المعرفة إلى خمسة مراتب وهي: (السعيدي ب: ١٤٣٨:٧٣)

١- العلم: وهو إدراك الشيء على ماهو عليه إدراكاً جازماً وهو اليقين.
٢- الظن: وهو إدراك الراجح مع الاحتمال المرجوح.
٣- الشك: وهو الإدراك مع احتمال المساوي.
٤- الوهم: وهو الإدراك المرجوح.
٥- الجهل: وهو إدراك منافي للحقيقة.

«ويحصل الخلل في الفكر عندما لا يفرق الإنسان بين الوهم واليقين أو بين الوهم والشك، أو بين الشك واليقين وهكذا، فيعطي الأوهام حكم المعلومات ويتعامل معها على هذا الأساس» (السعيدي ب: ١٤٣٨:٧٤) مما يؤدي إلى نتائج جازمة وقد تكون بعيداً عن الحقيقة.

ومن ذلك تسمية الأشياء بغير أسمها مما يؤدي إلى اختلاط الحق بالباطل وذلك بسبب اتباع الظن فيما حقه اليقين مع معارضتهم لليقين الواضح بسبب اتباع الهوى كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ

يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴿٢٣﴾ [النجم: ٢٣] ومن الأمثلة كذلك على الخلط بين الظن واليقين انتشار الشائعات وكذلك دوران المعلومات في الكتب سواءً الكتب الدينية أو التاريخية أو الإعلام مثل اليوتيوب.

وهذه بعض الإشارات التي تساعد على ضبط محتوى التفكير الذي أساسه المعرفة الصحيحة المبنية على التصورات الصحيحة وكذلك الربط فيما بينها وذلك لأن المعرفة في الأساس هي مجموعة من التصورات الذهنية المرتبطة مع بعضها البعض على شكل منظومة، فالآراء والمعلومات والأفكار والمعارف لابد من التأكد من صحتها أولاً قبل تطبيقها على أرض الواقع وذلك لأن الفكرة أو أي معرفة إذا كانت خاطئة في الأصل لا يمكن الاستفادة منها حتى لو تم تطبيقها على أرض الواقع بطريقة صحيحة وقد تؤدي إلى أضرار عظيمة في المعرفة والعقائد والآراء.

٧- تطبيق الفكرة أو المعلومة أو الرأي على أرض الواقع:

عندما نريد أن ننصح أو نشرع قانون أو نأمر بأمر لابد من وضعه بالموضع الصحيح، فسلامة تطبيق الفكرة أو الرأي الصحيح على الواقع واجب، لأن الخطأ في تطبيقها قد يكون ضرره أشد من تطبيق الآراء الخاطئة بسبب إن الفعل أشد أثراً من القول سواءً على النفس أو على الآخرين لأن الفعل المتكرر يتحول إلى عادة وقد يتحول إلى عقيدة لدى الشخص الفاعل أما الآخرين فقد يعتقدون خطأ الرأي أو الفكرة بسبب تطبيقها غير المناسب مع صحتها مما يؤدي على رفض الفكرة من أساسها أو إنهم قد يعتبرون هذا الشخص قدوة فيعتقدون إن هذا الشخص لا يمكن أن يفعل الشيء الخطأ فيتبعونه ومن هذا الموضع تنشأ الايديولوجيات المكونة للجماعات والأحزاب والفرق الفكرية أو العقدية المنحرفة، وذلك «لأن كثيراً من الناس يخلط بين بطلان الفكرة والخطأ في تطبيقها، فيظن إن كل خطأ في التطبيق هو راجع إلى عدم صحة الفكرة أصلاً، وقد يستغل الخصوم أخطاء التطبيق للأفكار الصحيحة في تشويه الفكرة نفسها، حتى تنفر النفوس منها وتزهد فيها»(الطريفي: ١٤٣٩:١٦٣) ولابد لسلامة تطبيق الآراء

والأفكار الصحيحة من عدة أمور حتى يسلم الإنسان من ميل النفس وعدم تجرد العقل في الاختيار.

الأول: مناسبة السياق:

كل شيء بالكون له سياقه المتصل بما قبله وما بعده، ولا يلزم من صحته في موضع أنه يصح في موضع آخر سواءً كان من الأمور المادية أو الأمور المعنوية، وأي شيء لا يمكن أن يحكم بناؤه إلا على تسلسل صحيح يقوم بعضه على بعض على صفة معينة وليس بشكل عشوائي، فجمع الحجارة بشكل فوضوي لا يبني شيئاً، حتى تكون على انتظام واتساق صحيح.

وإذا تقرر أن كل قول وفعل لابد أن يتصل بشيء قبله وبعد، حتى يُعرف مكانه وموضعه الذي يصح فيه، فإن من أراد أن يبني فكراً أو معنىً فلابد من نظره لذلك حتى يستقيم وإلا كان بناؤه هشاً بمقدار انفصاله عن ذلك السياق.

وهكذا فطر الله النفوس والعقول على استيعاب المعاني بمقدار اتساقها، وينقص الاستيعاب والفهم بمقدار ذلك الاتساق فيها، كما إن الماديات غير المتسقة لا تثبت في الخارج، كذلك لا تثبت المعني في الأذهان، فمثلاً لو وضعنا في بناء الجدار حجارة (الطوب) أكبر من المستعملة فإنها لا يمكن أن تتسق مع الحجارة الأخرى لأن حجمها أكبر، ولذلك لو وضعنا كلمة انجليزية داخل سياق الكلام العربي لتكملة المعنى بدلاً من الكلمة العربية فإنها تؤثر على المعنى.

ولا يمكن أن تقوم الدول والمجتمعات والأفكار والشرائع إلا وهي متصلة مع بعضها البعض في سياقٍ صحيح، فالماديات والمعاني الخاطئة إذا كانت متسقة أقدر على البقاء من الماديات والمعاني الصحيحة إذا كانت غير متسقة. (الطريفي: ١٤٣٩: ١٦٤)

ولأجل هذا الأمر الكوني جاءت جميع الشرائع السماوية متدرجة متسلسلة متسقاً بعضها على بعض، وتدرج الأنبياء في إيصال الأقوال والأمر بالأفعال بحسب ما في نفوس الناس من عقائد سابقة، فإنهم يبدؤون منها ثم يتدرجون في البناء عليها، كما فعل النبي ﷺ مع العرب بحيث جعل الأخلاق مدخل إلى الدين مثل الصدق وصلة الرحم والكرم وغيرها وهذا القدر المشترك

الموجود في الإسلام وفي أخلاق العرب، فإنشاء الدول والجماعات والنظم والقوانين له تدرج وانتظام متسق حتى تستقر وتدوم.

الثاني: مناسبة الزمان للعمل

لم يخلق الله عجلة الزمن إلا وله تأثير في الأعمال، وذلك لاقترانه بأشياء متصلة بها من إقبال النفوس وإدبارها، وآثار ذلك عليه، فصحة العمل وأتساقه مع ما قبله وما بعده لا يعني سلامة وضعه مطلقاً حتى يُنظر إلى مناسبة الزمان له، وقد يكون تقديم العمل حبٌ للنفس ورغبة في استعجال حدوثه، خاصة في النفوس المطبوعة على العجلة والحدة والعكس كذلك فقد يكون التأخير بسبب طبيعة النفوس من البرود والتواني. (الطريفي: ١٧١: ١٤٣٩)

الثالث: مناسبة المكان للعمل (الطريفي: ١٤٣٩:١٧٢)

ليس كل مكان يكون مناسب للعمل، فالنصيحة للحاكم أو للمدير أو أي شخص في مكان عام ليست مناسبة لأن النفوس لا تقبلها، وقد يكون الفعل واحد ويقبل في مكان ويرفض في مكان مثل تقبيل الطفل والمسح على رأسه فقد يكون رحمة في مكان واعتداء على الخصوصية في مكان أو تحرش في مكان آخر.

الرابع: مناسبة العامل بها (الطريفي: ١٤٣٩:١٧٣)

إن العامل بالمعرفة أو بالفكرة أو الرأي لها تأثير كبير على العمل، وليس كل من عرف شيئاً عمل به، لأنه قد يعرف الأمر ولكن لا يمتلك المهارة لتطبيقه، أو إن ليس له رغبة في العمل لأن النفوس تميل إلى ما تحب وتهوى، وقد يكون العامل بهذه الفكرة أو المعرفة غير مقتنع بها.

وكذلك إن كل شخص له ما يناسبه من الأعمال سواء بسبب طبيعته أو ضعف معرفته أو مهاراته، فالعالم المتخصص في الدين لا يصلح أن يعمل في الطب والطبيب لا يصلح أن يعمل عمل المهندس، وكذلك فالولاية والقيادة قد لا تحتاج قوة جسم ولكن تحتاج حزم وعزم وقوة في

العقل والرأي مع الأمانة وسعة بال، بعكس الجندي وعامل البناء فقد يحتاج قوة جسدية وغيرها.

الخامس: الصفة التي يُعمل بها:

وذلك إن كل عمل له صفة يتقن عليها العمل وهذا من السنن الكونية التي تكون في الماديات والمعنويات، وكل عمل يحتاج إلى هيئة يتم عليها كالرفق واللين في موضع والقوة والشدة في موضع آخر، والتدرج في موضع والمسارعة في موضع. (الطريفي: ١٤٣٩: ١٧٤)

ولكل مقام حال تناسبه ولكل شخص صفة تناسبه، فالتربية للأطفال ليست كالتعامل مع الموظفين في العمل مع وجود القدر المشترك بينهما ولكن لكل شيء موضعه، والتعامل مع الغنم ليس كالتعامل مع الأبل، والتعامل مع الحديد ليس كالتعامل مع الزجاج وهكذا.

٨- التعامل مع المؤثرات النفسية على منهجية التفكير والمعرفة وتطبيقها على أرض الواقع:

تميل النفس البشرية إلى تحقيق ما تحب من شهواتها مثل حب الجاه والمنصب والمال والمدح والنساء والأكل وغيرها وهذا الميل إلى هذه الأمور ليس ممنوعاً ولكن فطرة الله في خلقه، ولكن الممنوع هو زيادتها عن الحد المطلوب أو طلبها بالوسائل الممنوعة وتتفاوت درجات حب هذه الأمور من شخص إلى آخر، فشخص يحب الجاه وآخر يحب الأكل وآخر يحب المدح وآخر يحب النساء فكل شخص قد يشغله ما يحب عن التفكير الصحيح لأنه تحت ضغط ما يحب، فالذي يبحث عن الجاه والمدح قد لا يأكل أمام الناس وقد يوزع المال من أجل أن يقال كريم وغيرها.

فهذه الغريزة الفطرية جعلت الناس مختلفين ومكملين لبعضهم البعض، والتعامل معها هي إن الإسلام جعل هذه الأمور وسائل يتوصل بها الإنسان لشيء ينفعه بدينه ودنياه وآخرته ولها مقاصد وغايات صحيحة وهذه الغايات أساسها الإخلاص في العمل لله سبحانه وتعالى فالإنسان يستطيع بعلمه أن يكسب الوجاهة في الدنيا ولكن يخسر في الأخرة وكذلك الجاه والمال وغيره، فالتوازن في استخدامها هو المطلوب، بحيث تجعل الشيء كالمال والجاه في اليد

وليست في القلب، لأنها إذا جعلتها في القلب وصار مقصد في ذاته بحيث إذا حكمت النفس والعواطف على العقل وجعلته في خدمة رغباتها وشهواتها أدى إلى الخلل في التفكير، وهذا الخلل يجعل النفوس تتصارع في البحث عن هذه الأمور من مال وننصب وجاه مما يقودها إلى الكبر والحسد والحقد وغيره التي متى وقعت بين الناس فرقتهم وجعلتهم أعداء فيما بينهم من أجل عرض من الدنيا.

٩- فقه السنن الإلهية:

السنن الإلهية هي القوانين الثابتة التي جعلها الله تحكم الكون والأفراد والمجتمعات، وهي أشياء تتكرر إذا فعلت بنفس الطريقة والظروف مثل تجمد الماء عند درجة معينة في ظروف معينة وهكذا، فالسنن الإلهية من طبيعتها الثبات وعدم التغير كما قال: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴿٢٣﴾﴾ [الفتح: ٢٣]، ومنها المبادئ الفطرية الأولية مثل مبدأ السببية ومبدأ عدم التناقض وغيرها من السنن الثابتة، وقد أمرنا الله بالبحث والسير في الأرض للنظر في فيما حدث للأولين وكيفية ابتداء الخلق كما قال الله سبحان: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ١٣٧﴾ [آل عمران: ١٣٧] وقال سبحانه: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت: ٢٠]، ومن سنن الله التي لها ظهور كبير في القرآن الكريم والواقع:

١- **سنّة المداولة:** وهي انتقال الملك أو القوة أو المال من شخص إلى شخص أو مجتمع إلى مجتمع وهكذا بفعل الأسباب المطلوبة وقد تكون بطريقة سلمية عن طريق التقنية والتجارة وغيرها أو غير سلمية عن طريق الغلبة والقوة أو عن طريق المكر والخداع وقد قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١٤٠] وإذا نظرنا لواقع المجتمعات نجد هذه السنة واضحة ومن الأمثلة على ذلك انتقال الملك من دولة إلى دولة كما في الخلافة الأموية والعباسية والعثمانية وبعد ذلك انتقلت القوة لغير المسلمين وذلك لتخلفهم عن الأخذ بالأسباب الشرعية والدنيوية، وكذلك انتقال القوة من بريطانيا إلى أمريكا

(قسوم:٢٠١٨) وانتقال صناعة الهواتف الذكية من شركة نوكيا إلى شركة أبل وشركة سامسونج وهكذا، فالأيام دول.

ومن الأمور المهمة معرفة إن الله جعل الأيام دول بين الناس لحكمة يعلمها سبحانه فمن فعل الأسباب المادية يأخذ نصيبه ولكن لايلبث أن تأخذه الجوانب المعنوية والأخلاقية بحيث تطغى عليه مما يسبب تفكك المجتمع وانحلال أخلاقه ثم ضعفه وسقوطه، أما من أخذ بالجانب الأخلاقي والمعنوي فسوف يؤخذ من جهة القوة المادية وهكذا وأساسه صراع أفراد المجتمع من أجل أهدافهم المعنوية أو المادية مما يؤدي إلى اختلال الأصول الكلية والقدر المشترك والاهتمام بالتفاصيل مما يؤدي إلى التأثير على النموذج الفكري وتفكك الهوية الثقافية، والمطلوب هو الرجوع إلى الأصل وهو المرجعية ومراجعتها والمحافظة على الأصول الكلية وفعل الأسباب المادية المطلوبة قدر المستطاع وعدم الدخول في المقارنات مع الدول والمجتمعات الأخرى وتقليدها لأن ذلك يضر المجتمع والدولة بحيث إن الظروف تختلف والوضع المادي والمعنوي والثقافة تختلف وإنما النظر إلى واقع المجتمع وإرجاعه للأصل تدريجياً.

٢- **سنة التغيير**: وهي التحول من وضع إلى وضع آخر وهذه السنة وضعها الله من ضمن الأسباب التي يفهم بها الناس الواقع وأصول وبداياته وذلك إن كل تغيير يكون سبب وله سبب وهذا التغيير له نتيجة سواء كانت سلبية أو إيجابية والتغيير يبدأ من عند الناس بحيث إنهم الذين يغيرون حياتهم بفعل أيديهم كما قال الله سبحان وتعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١] وإذا نظرنا للواقع والتاريخ والقرآن نجد الكثير من الأمثلة التي تغير وضعها من حال إلى حال أخرى كما في قصة قوم سبأ.

ومن السنن الإلهية سنة المدافعة وسنة التمكين والاستخلاف وغيرها من السنن، فسنن الله ثابتة لا تتحول ولا تتبدل ولا تتغير سواء كانت في الكون أو الأفراد أو المجتمعات ومن عرفها عرف كيف يتعامل مع نفسه أولاً ثم مع الناس ومع المخلوقات الأخرى كالحيوانات والنباتات وغيرها، وهذه السنن سنن قهرية في الكون أما في الإنسان والمجتمعات فهي ثابتة فيعطى

المحسن عمله وقد يتأخر ويؤخذ الظالم بظلمة ولكن قد يملأ لهم ويمهلهم إلى أجل يعلمه الله كما أخبرنا عن الكافرين في قوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴿١٧﴾﴾ [الطارق: ١٧]، فالأسباب لها نتائج ولكن وقت وقوع النتائج لا يمكن أن يعرفه الإنسان لأن هذا من حكمة الله في الأخذ بالأسباب، وذلك لأن المطلوب من الإنسان فعل المطلوب فقط وهي الأسباب التي يمكن تقسيمها إلى نوعين:

١- أسباب نتيجتها مباشرة وذلك لعدم ارتباطها بأشياء أخرى، مثل من أكل الطعام دهب جوعه ومن شرب ذهب ظمأه وهكذا.

٢- أسباب نتيجتها غير مباشرة وذلك لارتباطها بأشياء أخرى وهذه الأسباب عند الأخذ بها لابد من النظر إلى أربعة أمور: (الجوزية: ١٤٣٩: ٤١)

١- أن يكون الفاعل مؤثر: مثل من أراد أن يعمل عملاً لابد أن يكون لديه المعرفة والمهارات اللازمة حتى يقبل في هذا العمل ويؤديه على وجه صحيح.

٢- أن يكون المحل مناسب أو متاح: وذلك أن يكون فيه مكان متاح للعمل وهذا العمل مناسب لمهارات ذلك الشخص.

٣- عدم وجود مانع: مثل أن يكون الشخص ليس معه رخصه أو عمره صغير غير لا يتوافق مع شروط العمل أو لا يريده صاحب العمل. (الجوزية: ١٤٣٩: ٤١)

٤- إرادة الله ومشيئته: وذلك إن الشخص قد يكون لديه المعارف والمهارات اللازمة ويجد فرصة عمل ولا يوجد مانع ولكن الله يبغّض إليه هذا العمل أو يجعله الله ينسى موعد المقابلة وتفوته فرصة العمل، وينطبق هذا الأمر عندما يقدم شخص على الجامعة ويكون معدله ممتاز ونجح في الاختبار والفرصة متاحة في الجامعة لوجود مكان شاغر لمعدله وعدم وجود مانع مثل أن يكون سلوكه حسن ولم يفصل من أي جامعة قبل ويبقى الشرط الرابع وهو إرادة الله فقد ينسى الموعد أو يحصل على وظيفة ويترك الدراسة وغيرها.

وقد مثّل ابن القيم رحمه الله في كتابه الداء والدواء مثال لهذا الأمر بالسلاح والدعاء فقال: «والأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه لا بحده فقط فمتى كان السلاح سلاحاً تاماً لا آفة به، والساعد قوي، والمانع مفقود حصلت النكاية في العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلّف التأثير، فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح أو الداعي غير مؤثر لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء أو كان ثمّ "هناك" المانع من الإجابة لم يحصل الأثر» (المرجع السابق) وإرادة الله في إجابة الدعاء على ثلاثة أحوال سواء الاجابة أو رد عنه من الشر مثله أو الأجر.

وبذلك عندما يخبرنا الإسلام عن كيفية التعامل مع الحياة وذلك وفقاً للسنن الكونية وفقه الأسباب فإنه ينظر لجانبين وهما الجانب المادي والجانب غير المادي (المعنوي) فالأسباب المادية مثل الحصول على شهادة من أجل الوظيفة أو دفع المال مقابل الأكل وغيرها، أما الأسباب المعنوية مثل الدعاء والحسن الظن بالله والتفاؤل والصبر كما قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦] وهذا الأمر بسبب أن هناك نتائج غير معلومة الأسباب تحدث فجأة مثل الشفاء من مرض قرر الأطباء أنّه لا يمكن شفاؤه وهكذا، ولذلك على المسلم فعل الأسباب أما النتائج فأمرها إلى الله.

وهناك الكثير من الأمور المرتبطة بمنهجية التفكير مثل طلب العلم والعمل وطريقته وحدوده وهذه إشارات وعلامات تدل على الطريق، وهي وسيلة توصل للغاية التي هي العبادة الموصلة إلى رضا الله والجنة.

رابعاً/ قاعدة: العادة محكمة

وهذه القاعدة مرتبطة بأعراف كل بلد وعاداتهم بحيث إن معرفة عاداتهم وأعرافهم لها دور كبير في ضبط منهجية التفكير بحيث إن مفهوم الريال السعودي يختلف عن مفهومه في الدول الأخرى مثل عمان واليمن وغيرها وهذا يضبط لغة التعامل بين الناس من مكان إلى مكان، بحيث تختلف الأحكام عند اختلاف العوائد والأعراف وليس الاختلاف في الخطاب وذلك إن ١٠٠ ريال في دولة تختلف قيمتها عن الدولة الأخرى ولذلك يختلف الحكم فالخطاب واحد

والحكم مختلف وكذلك الإذن العرفي في شيء ما يقوم مقام الإذن الحقيقي أو اللفظي.(الباحسين: ١٤٣٣:٢٣٥)

ثانياً/ أسلوب العيش

رحلة الإنسان في هذه الحياة قصيرة، وهذه الرحلة هي العمر الذي يقضيه الإنسان فيها كما قال الرسول ﷺ: « أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك» رواة الترمذي ٣٥٥٠ (آل الشيخ: ١٤٢٩:٢٠١٧)، هذه الرحلة تشبه الرحلة لأي مكان من أجل هدف معين سواء كان علاجي أو تجاري أو سياحي أو غيره، بحيث إن الإنسان في رحلته يأخذ ما يحتاج إليه من الأشياء ولا يكثر على نفسه حتى لا تشغله عن هدفه الرئيسي وهو الوصول لغاية معينة بحيث إن هذه الرحلة محددة ووسيلة لتحقيق غرض معين، وتعتبر حياة الإنسان رحلة يقضيها في هذه الحياة ثم يغادر ها وليس معه إلا عمله الذي عمله، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ عن حال الدنيا عندما نام على حصير قد أثر في جنبه فقال له الصحابة: لو اتخذت لك وطاء فقال: «مالي وللدنيا، ما أنا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها» رواه الترمذي ٢٣٧٧ (آل الشيخ: ١٤٢٩:١٨٩٠)، فالأصل إنها ليست باقية وهذا يجعلنا ننظر إلى الجوانب الأخرى من الحياة مثل طلب الرزق والأكل والنوم والجاه والمكانة، وهذه وسائل يستعين بها الإنسان على حياته وليست غايات في ذاتها، وليس معنى ذلك إن الإسلام لا يأمر بطلب الرزق والقوة وغيرها بل الإسلام يأمرنا أن نكون أقوياء كما قال الرسول ﷺ:«المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان» وراه مسلم ٦٧٧٤(آل الشيخ: ١٤٢٩:١١٤٢) فالقوة مطلوبة في كل الأمور وأمرنا أن نستخدم أقوى الوسائل للتعامل مع الأعداء كما قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] فالإسلام أمرنا أن نأخذ بكل وسائل القوة المشروعة ولكن وضع لهذه القوة ضوابط وقواعد وحدود، وكان ﷺ يتوازن في حياته بين التشدد والتساهل وهي الوسطية والعدل كما في قصة الثلاثة الذين قال أحدهم:

أنا أصلي الليل ولا أنام وقال الآخر: أنا أصوم ولا أفطر قال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء النبي فقال «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني» رواه البخاري ٥٠٦٣ (آل الشيخ: ١٤٢٩:٤٣٨) ومن هذه الأمور أن أحل الله لنا البيع وحرم الربا وذلك لأن البيع في حركة مفيدة للطرفين البائع والمشتري أما الربا فهو سكون وثبات لأصل المال، بحيث إن الربا هو زيادة الأموال الثابتة غير المتحركة ولذلك حرمه الله كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥] لأن فيه ضرر على الشخص الآخر مع الوقت وقد رسم علي الوردي في بحثه عن الأخلاق بعض الصور الواقعية لأثر الرباء على الأخلاق بسبب تراكم الديون التي تقود إلى الكذب والمماطلة وهذه الصور ألتقطها من المجتمع العراقي (الوردي: ٢٠١٧:٣٤).

والحياة صعبة تحتاج إلى مجاهدة وتعب سواء من ناحية اصلاح النفس والحال أو اصلاح احوال الآخرين كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴿٤﴾﴾ [البلد: ٤] (المراد ما يكابده ويقاسيه من الشدائد في الدنيا) (السعدي:١٤٣٥:٩٨٨) فالحياة تحتاج بدل أقصى الجهد سواء في اصلاح النفس أو اصلاح الحال المادية أو الاجتماعية وغيره وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى أنه يهدي من بذل الأسباب المطلوبة واستمر على فعلها كما قال الله تعالى:﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩] وقد حث الإسلام على العمل والاستغناء عن الناس كما قال الرسول ﷺ عندما سأله الأنصار مالاً فقال:« .. من يستعفف يعفه الله ومن يستغني يغنه الله ...» متفق عليه (آل الشيخ: ١٤٢٩:١١٦) فالإسلام يحث على العمل الحلال مهما احتقره الناس من رعي الغنم أو الاحتطاب وغيرها كما قال الرسول ﷺ «"ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم" فقال له أصحابه وأنت؟ فقال: "نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة"» رواه البخاري ٢٢٦٢ (آل الشيخ : ١٤٢٩:١٧٥) وقال الرسول ﷺ: « لأن يحتطب أحدكم حزمة على

ظهره خيرٌ له من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه» رواه البخاري٢٣٧٣ (آل الشيخ: ١٨٦:١٤٢٩) ولم يترك الإسلام شيئاً إلا أخبرنا كيف نفعله من الأكل والشرب والنوم والحياة الزوجية وطلب الرزق واستغلال الصحة والفراغ كما قال الرسول ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» رواه البخاري ٦٤١٢ (آل الشيخ: ٥٣٩:١٤٢٩) وكذلك في اللباس بحيث إن لباس الرجال يختلف عن لباس المرأة وكذلك كيفية التعامل مع المال وخاصة فيما يختص في حقوق الآخرين من الفقراء والمساكين وغيرهم من الصدقة والزكاة، ومن أهم الأمور التي لابد من النظر إليها عندما ندرس أسلوب العيش هو الحذر من الرفاهية والترف لأنها تولد الاتكالية والاعتماد على الآخرين مما يؤثر على الأمة الإسلامية أو الدولة على المدى البعيد ولذلك الرسول ﷺ لم يخش علينا الفقر وإنما خاف علينا من الغنى المؤدي إلى الرفاهية والترف والكسل والاهتمام بالأمور الشكلية على حساب الأمور الأساسية وكذلك الاهتمام بالمصالح على حساب المبادئ بحيث إن الإنسان يكون همه جمع المال وليس همه أن يكون حلالاً كما قال النبي ﷺ «والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على الذين من قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتكم» وراه البخاري ومسلم (صالح آل الشيخ: ٣٢٨:١٤٢٩).

وهذه النقاط إشارة لبعض الأمور التي تتعلق في أسلوب العيش في الإسلام ولا يمكن حصرها في بحث واحد لأن الإسلام اشتمل على جميع أمور الحياة.

ثالثاً/ أسلوب المعاملة

عندما نبحث أسلوب المعاملة في الإسلام لابد أن نبحث عن القدوة في هذا الأمر، وهو نبينا محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١] قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله» (الدمشقي: ٤٤٣:١٤٢٠)، والنظر إلى حياته والبحث فيها يجعلنا نعرف كيفية تعامله مع جميع شرائح المجتمع كأهله وزوجاته وأولاده واحفاده وأصحابه والنساء والخدم وأصحابه وضيوفه وجيرانه وأصحاب المصائب وذوي العاهات والأغنياء والفقراء والصغار والكبار والقادة والعمال وأهل

المدينة والبدو (الأعراب) والمسلمين الجدد والنابغين والمتخاصمين والعصاة والمذنبين والمنافقين والكفار ومع الدواب وغيرها و إن خلق النبي العظيم الذي ذكره الله فكتابه في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤] يجعلنا نبحث عن بعض معاني هذا الخلق العظيم، وسوف نستعرض بعض الأمور العامة في التعامل مع الناس وبعض الأمثلة من تعامله ﷺ.

حب الخير والهداية للناس ورحمته بهم.

كان عليه الصلاة والسلام حريصاً على هداية الحلق وذلك لأنه يحب الخير لهم كما قال الله تعالى:﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨] ومن الأمثلة على حرصه على هداية الناس قصة عمه أبو طالب كما جاء في الحديث فعن سعيد بن المسيب عن أبيه أنه أخبره أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طالب:" يا عم! قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله " فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب! أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة؛ حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك " فأنزل الله تعالى فيه ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴿١١٣﴾﴾ **[التوبة: ١١٣].**

رواه البخاري١٣٦٠(آل الشيخ:١٤٢٩:١٠٦).

وحرصه على تعليم الصغار كما في الحديث الذي رواه عبدالله ابن عباس –رضي الله عنه– قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال:«ياغلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا

على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» رواه الترمذي ٢٥١٦ (آل الشيخ: ١٤٢٩:١٩٠٤) وذلك لأن الصغار هم مستقبل المجتمعات، ودعوته لغير المسلمين من المشركين واليهود والنصارى وتعامله لهم بجانب الرحمة وحب الخير والهداية لهم كما في قصة الغلام اليهودي الذي كان يخدم النبي ﷺ عندما مرض وزاره النبي وحرص على إسلامه فلما أسلم قال النبي ﷺ: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار»رواه البخاري ١٣٥٦ (آل الشيخ: ١٤٢٩:١٠٦)، وهذه الأمر يجعل المسلم يقتدي بالرسول ﷺ في تعامله مع الناس وخاصة اخوانه المسلمين كما قال الرسول ﷺ «لا يومن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» رواه البخاري ومسلم (آل الشيخ: ١٤٢٩:٣)، وذلك إن حب الخير للناس له دور كبير في تماسك المجتمع وذلك من خلال التسامح والعفو والنصيحة للناس من الملك والأمير والعالم إلى عامة الناس كما قال الرسول ﷺ «"الدين النصيحة" فقال الصحابة –رضي الله عنهم– لمن يا رسول الله؟ قال: " لله ولكتابة ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"» رواه النسائي٤٢٠٢ (آل الشيخ: ١٤٢٩:٢٣٦٢)

التعامل مع الجاهل

الجهل هو إدراك الشيء على عكس ما هو عليه، فالإنسان الجاهل قد يفعل أشياء لا تنفعه وقد تضره أو يطلب أشياء لا تنفعه وقد تضره كما حدث في عهد النبي ﷺ مع الشاب الذي قال للنبي ﷺ ائذن لي بالزنا!

فأقبل عليه القوم فزجروه، قالو مهْ مهْ.

فقال ﷺ: "أدن" فدنا منه قريباً، فجلس

فقال له النبي ﷺ: "أتحبه لأمك"

فقال: لا والله جعلني الله فداك.

قال: "ولا الناس يحبون لأمهاتهم" قال: " أفتحبه لأختك؟"

فقال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك.

قال: "ولا الناس يحبون لأخواتهم" قال: " أفتحبه لعمّتك؟"

فقال: لا والله جعلني الله فداك.

قال: "ولا الناس يحبون لعماتهم" قال: " أفتحبه لخالتك؟"

فقال: لا والله جعلني الله فداك.

قال: "ولا الناس يحبون لخالاتهم"

فوضع النبي ﷺ يده عليه وقال: " اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه" فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء» رواه أحمد (المنجد: ١٤٣٧:٦١١)، فالإنسان في الأصل ضعيف ولذلك لابد من رحمته والرأفة وهذا الضعف يأتي بعدة صور مثل: الخطأ والخوف والحزن والغضب والاستعجال والشكوى والجهل وغيرها من صور الضعف، وقصة ذلك الشاب هي من ضعف الإنسان الذي يأتي بسبب الجهل، وهذا الأمر لو تعمقنا في دراسته لوجدنا سبب حصوله هو النظرة القاصرة للحصول على اللذة الحاضرة ونسيان الألم الذي يتبع هذه اللذة سواءً من ناحية دينية أو اقتصادية أو اجتماعية وغيرها، فالإنسان يقترب من اللذة ويبتعد عن الألم ولكنه لم يفرق بين اللذة المؤقتة واللذة الدائمة وكذلك الألم، ففعل النبي ﷺ مع هذا الشاب والقرب منه ومناقشته والحوار معه ومنع الناس من زجره وتوبيخه وتوضيح الصواب له هو أفضل وسيلة للتعامل مع الذين يفعلون أشياء غير صحيحة أو يطلبونها، ومن هذا الزاوية يكون دور القدوات والمصلحين في المجتمع وذلك برحمة الناس عن طريق توجيههم وتعليمهم، أما زجرهم وتوبيخهم أو الابتعاد عنهم من غير توجيه وإرشاد فليس هو الحل لأنهم قد يذهبون إلى آخرين يستغلونهم بالأسلوب الحسن مما يسبب الافتراق والتشتت إلى مجموعات أو جماعات وأحزاب.

التعامل مع النساء

في هذا الجانب سوف نبحث جانب طبيعة المرأة وكيفية التعامل معها بشكل عام و الزوجة بشكل خاص، وذلك في قوله ﷺ «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع أعوج وإن أعوج شيءٌ من الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً» وراه البخاري ٣٣٣١ (آل الشيخ:١٤٢٩:٢٦٩)، وقوله ﷺ:«لا يفرك "لا يبغض" مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» رواه مسلم١٤٦٩ (الدرر السنية:

١٤٤١)، وقوله «"أُريت النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن" قيل: أيكفرن بالله؟ قال: " يكفرن العشير ويكفرن الإحسان، ولو أحسنت إلى إحداهم الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط"» رواه البخاري٢٩ (آل الشيخ: ١٤٢٩:٤) وهذه الأحاديث توضح لنا بعض الجوانب من طبيعة المرأة منها:

١- إن تعديل سلوك المرأة من أصعب الأمور وبعض السلوكيات عندها لا يمكن تعديلها، والتعامل معها هو التعايش والتكيف مع هذا السلوك أو الطلاق، ولذلك لابد في هذا الأمر من بُعد النظر والموازنة بين المصالح والمفاسد وعدم الاستعجال.
٢- إن المؤمن لابد أن يجد في المرأة مميزات مهما فعلت من السيئات ولذلك لابد للإنسان أن يركز على الجانب الإيجابي ويحاول إصلاح الجانب السلبي، فالعدل مطلوب.
٣- انكار المعروف والإحسان شيء طبيعي عند المرأة، وهو أن تخفي جميع المزايا للرجل بسبب خطأ واحد، فالغالب إن المرأة لا تخلو من الكذب والعناد، ولذلك عندما يعرف الرجل هذه الطبائع يستطيع التعامل معها بوضوح، وكذلك المرأة لو عرفت طبائع الرجل عرفت كيف تتعامل معه بوضوح وهذه الزاوية من النظر تقلل الكثير من مشاكل الطلاق في المجتمع.

النساء لهن دور كبير في المجتمع، بل من أهم الأدوار وهو التربية ولكن لابد من معرفة طبيعة المرأة من أجل التعامل معها وذلك إنها تختلف عن الرجل كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾ [آل عمران: ٣٦]، فكل جنس له طبيعته التي تناسبه فالأصل في المرأة هو القرار في البيت إلا عند الحاجة والضرورة كما قال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣] قال ابن كثير في تفسيره «إلزمن بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة» (الدمشقي٣: ١٤٢٠:٤٥٠) أما الرجل فالأصل فيه هو طلب المعاش والرزق والقوامة على النساء وهو المسؤول عن البيت، فالتفريق بين طبيعة الرجل والمرأة يجعلنا نعرف ما هو أساس

التعامل، ومعرفة سيرة النبي في التعامل مع النساء عظيم ومعرفة دورهن الأساسي والمؤقت يحل كثير من مشاكل الحياة.

التخطيط الاستراتيجي (بُعد النظر)

عندما نبحث في سيرة النبي من زاوية النظر إلى المستقبل نجد إنه بعيد النظر وهذه صفة المسلم الذي يتعامل الواقع ويدرس مآلات الأمور وعواقبها بحيث لا يستعجل في أحكامه وأن ينظر إلى الواقع نظرة كلية وشمولية من حيث المصالح والمفاسد ومن حيث الحاضر والمستقبل بناء على معرفة الماضي، ولا تكون نظرته جزيئة قاصرة على الانتصار في الموقف الحالي، فعندما نرجع لسيرة النبي ﷺ وننظر في موقفه من قريش عند رجوعه من الطائف مهموماً عندما أتاه جبريل ومعه ملك الجبال يريد أن يطبق عليهم الأخشبين (وهما جبلا أبي قبيس وقعيقعان بمكة) فقال النبي ﷺ «بل أرجوا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به وحده شيئاً» رواه البخاري٣٢٣١ (آل الشيخ: ١٤٢٩:٢٦٢)، بحيث نأخذ من هذا الموقف أمرين وهما:

١- حسن الظن بالله والتفاؤل.

٢- عدم الاستعجال: وذلك إن الإنسان يصل لمرحلة لا يستطيع تغيير الواقع الحالي الآن ولكنه قد يتغير في المستقبل، وهذا ما حدث في هذه القصة بحيث إن أبا خالد بن الوليد سيف الله المسلول كان كافراً وخالد مسلماً وكذلك كان أبو عكرمة بن أبي جهل كافراً بينما ابنه عكرمة مسلما، وهذا من معاني " بل ارجوا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً. وهذين الأمرين من أهم الأصول في التخطيط ووضع الاستراتيجيات.

ومن الأمور المهمة في التعامل مع الناس والواقع قصة صلح الحديبية (آل الشيخ :١٤٢٩:٢٥٨) عندما اراد المسلمون أن يعتمروا ولكن قريش اعترضتهم ورفضوا دخولهم مكة ومع ذلك اتفق النبي ﷺ مع قريش على ما أرادوا في أمور ظاهرها عدم وجود المصلحة للمسلمين ولكن عند النظر من الجانب السياسي لهذه القصة لها عدة معاني من أهمها: الاعتراف بقيام دولة جديدة للإسلام ولكن هذا الاعتراف غير ظاهر وإنما غلب على الموضوع عزة وكبرياء قريش بعدم دخول النبي ﷺ مكة، ونستفيد من هذه القصة عدة أمور منها:

١- النظرة الشمولية للوضع والواقع ودراسته من جميع النواحي.

٢- النظر إلى مالآت الأمور والنتائج بعيدة المدى وعدم تغليب الانتصار الحالي أو المصلحة الحالية، وذلك إن الإنسان قد يكسب الحاضر ولكن يخسر المستقبل لأنه لم يوازن بين الصالح والمفاسد، وهذه فائدة التفكير الاستراتيجي خلال التعامل مع الآخرين ووضع الخطط الإستراتيجية.

الفصل الخامس

تحليل نتائج الدراسة ومناقشتها حول

أثر البارادايم على الهوية الثقافية

بناء على ما سبق مناقشته في الفصول السابقة من مواضيع كالبارادايم والهوية الثقافية والمرجعية التي اخترناها في هذا البحث وهي الإسلام، بالإضافة إلى بعض الاستنتاجات التي سبق بحثها مثل: كيفية بناء الاعتقاد وكيفية المحافظة عليه، فسيناقش هذا الفصل بشكل خاص ما توصل إليه الباحث من نتائج حول أثر البارادايم على الهوية الثقافية وتحليلها من أجل الخروج برؤية مناسبة حول هذا الموضوع، وسيكون في نهاية هذا الفصل ملخص لأهم النتائج بشكل مجمل.

أولاً/ كيف يؤثر البارادايم على الهوية الثقافية؟

يعتبر الانتماء هو الرابط الأساسي في الهوية الثقافية بحيث إن الأصل في الانتماء أنه شعور ثابت تجاه شيء معين يتحول مع الوقت إلى تعلّق وبعد ذلك يتبعه السلوك الذي من خلاله تتكون العادات وتقوى الروابط الاجتماعية والدينية والسياسية وغيرها وهو من أهم العوامل في بناء المجتمع، وهذا الانتماء له أسباب تجعله يقوى أو يضعف وهذه الأسباب في الغالب مرتبطة إما اللذة والألم أو العادات أو الحاجة، وقوة الانتماء مرتبطة بدرجة التعلق بشيء ما، وقد يكون الانتماء سلوك من أجل تحقيق حاجة كما يحدث في بعض الوظائف أو الدراسة في الخارج وغيرها.

الانتماء المبني على اللذة والألم أو العادات أو الحاجات مرتبط بالنموذج الفكري أو البارادايم وسوف أتعمق في هذه النقطة لأهميتها وارتباطها باللذة والألم وارتباطها بالانتماء والهوية الثقافية وحركتها، «واللذة والألم هما لسان الحياة المادية والمعنوية» «ومن الشعور باللذة والألم تتكون قوة الإحساس، ومن هذه القوة تشتق الحياة المادية والمعنوية، ويكون لسان الأعضاء المعبر عن اللذة والألم متجبراً بنسبة ما يقتضي من الحاجات، ومن هذه الحاجات ما هو قاهر غير مهمل كالجوع مثلاً، فالجوع هو أشد الألآم هولاً، والحب هو أكثر اللذات تغلباً» (لوبون:٢٠١٦:٢٥).

ولا استمرار للذة والألم، فمن طبيعتهما الوهن السريع، فإذا استمرت اللذة فلا تبقى لذة، وينقص الألم إذا اتصل ولم ينقطع وقد يصير نقصان الألم لذة، وعليه فاللذة ليست لذة إلا إذا

لم تتصل، ولا تكون اللذة معروفة إلا إذا قيست بالألم، فتقطّع اللذة والألم ناموس كوني مرتبط بالسنن الإلهية الثابتة قاضٍ بجعل التبدل أساس الإحساس، فنحن لا نشعر بالأحوال إذا اتصلت (لوبون: ٢٠١٦:٢٦) فاللذة أمر نسبي بحيث إن لذة الأكل عند الجائع تختلف عن الإنسان الشبعان، ولذة المعلومة عند الجاهل تختلف عن لذتها عند من يعرف المعلومة وعلى ذلك يقاس غيرها من الأمور، وكذلك ألم الجوع يختلف عند من تعوّد على الجوع عن غيره ممن لم يشعر بالجوع بحياته وهكذا.

واللذة والألم يورثان الرغبة في الشيء، بحيث إن الارتباط وثيق بين اللذة والفعل وإن الإنسان يتحرك وفق اللذة والالم الموجودين في الشيء، فالرغبة هي المحرك الأساسي للإرادة الباعثة على العمل (لوبون: ٢٠١٦:٢٨) فالإنسان لا يعيش بدون رغبة، ولذلك لابد من التفريق بين الرغبة والأمل واللذة ، فالرغبة هي الشهوة إلى الشيء، أما «الأمل فهو ابن الرغبة لا الرغبة نفسها، إذ هو عبارة عن استعداد نفسي يجعل الإنسان يعتقد إمكان تحقيقه ما فيه من رغبة» (لوبون: ٢٠١٦:٢٨) ، فالأمل هو اللذة المرجوة وهو مرتبط بالتفاؤل، أما الرغبة فهي شهوة مؤقتة، أما إذا استمرت الرغبة فإنها تتحول إلى الأمل الذي يحرك الإرادة الباعثة على العمل من أجل تحقيق تلك اللذة. فالرغبة شعور مؤقت، أما الأمل فهو شعور مستمر، وأما اللذة فهي نتيجة إدراك سببها المبني على المباشرة بالفعل، واللذة إذا لم توضع بموضعها المناسب سوف تسبب الكثير من المشاكل والتفكك في الشخصية أولاً ثم في المجتمع، واللذة منها ما هو مطلوب تحقيق الآن ومنها مايكون مؤجل إلى المستقبل فمثلاً رغبة الطفل أن يتحمل مسؤولية الكبار لها لذة ولكن تحقيقها الآن سوف يؤثر على بناء شخصية الطفل في المستقبل وفي يحاول تعويض ما فاته عندما يكبر.

«ولحصول اللذة لابد من ثلاثة أمور وهي كما يذكر ابن تيمية–رحمه الله تعالى–:

الأول: الحب كالاشتهاء للطعام (الرغبة)

الثاني: إدراك المحبوب كأكل الطعام، وهذا الثاني يسمى إدراكاً وذوقاً ونيلاً ووجداً ووصالاً ونحو ذلك مما يعبّر عنه في إدراك المحبوب سواءً كان في الظاهر أو في الباطن.

الثالث: اللذة الحاصلة بذلك، واللذة أمر مغاير للشهوة.» (البسام: ١٥٦: د ت) فاللذة نتيجة، وأصل إدراك اللذة يكون عن طريق الحواس الخمس والفطرة، فرائحة العطر لها لذة وعكسها الروائح الكريهة تسبب الألم والنظر إلى المحبوب له لذة وعكسه النظر إلى العدو وغير ذلك وهذه راجعة لمصادر التصورات التي ينتج عنها اللذة أو الألم، وكلها يمكن تضمينها في أنواع اللذة الثلاث: (البسام: ١٥٠: د ت)

١- اللذة الحسية: وهي اللذة المتعلقة بالجسد كالأكل والنكاح ونحوها مما يكون محسوساً بالجسد.

٢- اللذة الوهمية(النفسية): وهي مما يتخيله الإنسان ويتوهمه بنفسه أو نفس غيره كالمدح له أو التعظيم له أو الطاعة له، فإن ذلك من لذيذ المحبوب، كما أن فوات الأكل والشراب يؤلمه فإن فوات الكرامة يؤلمه، بحيث لا يكون له قدر عند غيره ولا منزلة يؤلمه وغيرها من الأمور المشابهة.

٣- اللذة العقلية: وهي ما يعلمه بعقله وقلبه وروحه كالتذاذه بذكر الله وطاعته ومعرفته ومعرفة الحق، وتألمه بالجهل، سواءً الجهل البسيط أو الجهل المركب.

ومن هذه الأنواع الثلاث يمكن القول إن الانتماء مرتبط بها من حيث إن حركة الإنسان والمجتمعات مرتبطة إما بالحاجات المادية أو الحاجات النفسية أو الحاجات العقلية والروحية، فمبدأ الإنسان هي حاجاته المادية مثل الأكل والشرب واللبس والسكن، فإذا تحققت ألتفتت إلى الحاجات النفسية مثل بناء العلاقات والصداقة والكرامة والبحث عن التقدير والاحترام والمكانة والجاه وغيرها من الأمور، فّإذا تحققت التفت للأمور العقلية لأن الجسد تشبّع والنفس استقرت فيرغب في تحقيق المعرفة والاستقلالية، وعند هذه المرحلة يعرف أن كثيراً من الأمور يمكن التنازل عنها وإنّ الاهتمام بها من الأمور التي تضيع الوقت وإن هناك أمور أهم.

تبدأ حركة الإنسان في البحث عن الحاجات المادية بحيث بيني الإنسان أساسيات الحياة لديه مثل الأكل والشرب واللبس والمنزل وفي هذه المرحلة يكون هناك بعض الإشكاليات ولكنها قليلة مثل السرقة وذلك لسببين هما:

١- المفاهيم الخاطئة المرتبطة بالرزق وهي مرتبطة بالجهل.

٢- الطمع وهو مرتبط بإتّباع هوى النفس والرغبة في المزيد.

وهذه المرحلة تأثيرها على الهوية الثقافية ضعيف وذلك لأن الإنسان يرغب بالحصول على العيش وينشغل به ولا يهتم بالأمور الأخرى.

وعندما يتجاوز الإنسان المرحلة الأولى من حركته وينتقل إلى الحاجات النفسية تبدأ الصراعات بحيث إن هذه المرحلة تكثر المشاكل بشكل كبير مثل الصراع على المكانة أو سوء الفهم أو البحث عن التقدير وهذه الأمور لها عدة أسباب ولكن أغلبها يرجع لعدة أسباب منها:

١- الدخول في النيات وهو ما يقود إلى الغيبة والنميمة.

٢- الحسد.

٣- الفهم الخاطئ لأثبات الذات.

وهذه المرحلة ينشغل فيها الناس عن الأساسيات من أجل إثبات الذات مثلما يحصل عند الشباب من الجانب الايجابي كالدراسة أو العمل المستمر أو العبادة وغيرها أو الجانب السلبي كالتدخين والألعاب الإلكترونية واستخدام المخدرات والتفحيط والهروب من المدرسة وإهمالها وكذلك والعلاقات الجنسية المحرمة والبحث عن الشهرة عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي بأي طريقة كانت سواءً كانت حسنة أو سيئة وكذلك الاهتمام باللبس عند المرأة واستخدام أدوات الزينة المختلفة لدرجة تصل لعمليات التجميل التي لا تحتاج إليها وغيرها، أو الصراع على الأفضلية كما يحصل في الصراع بين القبائل أو المدن أو المستشفيات وغيرها من الدوائر الحكومية وذلك بالتركيز على الأمور السطحية والشكليات على حساب الأمور الأساسية والضرورية، وهذه المرحلة يمكن أن تسمى المرحلة الميتة أو الكامنة أو الخاملة لأن نتائجها بعيدة المدى، وذلك إن تأثيرها على المجتمع والهوية الثقافية غير ظاهر الآن ولكن يظهر مع مرور الزمن ونتائجه كارثية.

وهذه النتائج تكون عامة على المجتمع، وسبب ذلك وجود القدوات السلبية وكثرة المقارنات والإشغال بتوافه الأمور على حساب الأمور المهمة، وسبب خطورة النتائج هو الضعف العام للمجتمع على المدى البعيد، وهذه المرحلة هي المرحلة التي يحافظ فيها المجتمع على نموذجه الفكري أو البارادايم سواء بجانبه السلبي أو الجانب الإيجابي وذلك لأن بعض الأمور تحولت إلى عادات وبالتالي يصعب تغييرها مثل عادة الاحتفالات القبلية أو عيد الميلاد أو عيد الحب أو عيد الأم والسخرية من الصالحين وغيرها من الأمور في الجانب السلبي أما الجانب الإيجابي مثل الاهتمام بالعبادة والكرم وصلة الرحم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها.

أما الانتقال للمرحلة الثالثة من الحاجات العقلية فهو مرحلة متقدمة وهذه المرحلة الذي يكون فيها الإنسان في قمة عطائه سواءً في الخير والشر، وبسببها تقوى الهوية الثقافية أو تتفكك بسبب بعض من أخذوا العلم من غير أهله أو أخذتهم حظوظ نفوسهم من أجل إثبات ما لديهم من العلم حتى ولو كان خطأ، وفي هذه المرحلة تكثر الإيديولوجيات بحيث كل من تعلم شيئاً يريد أن يغير الواقع بغضَّ النظر عن النتائج ويكثر في هذه المرحلة الانتقاد لكل أحد بحيث إن كل شخص ينشغل بغيره عن نفسه، فيبدأ بانتقاد زملائه في المدرسة ثم معلميه ثم أهله ثم والديه وثم المدراء ثم الوزراء ثم الأمراء ثم الملوك، فيبقى الجميع عنده على خطأ، وهو الذي على صواب لوحده.

وكل هذه المراحل متداخلة ولكن لكل مرحلة مدخل على المجتمع منها من ناحية إرادة التغير وتبدأ إرادة التغيير بتغيير الواقع الفردي المادي ثم ينتقل إلى الجانب الفردي المعنوي مثل إثبات الذات بأمثلته المتعددة، ثم ينتقل إلى التغيير بالجانب الاجتماعي، بحيث يريد تغيير المجتمع، وينقسم الناس في إرادة التغيير إلى ثلاثة أقسام:

١- شخص يبدأ من الماضي ويريد تطبيقه على المستقبل بدون النظر إلى الواقع، وهذا في الواقع لا ينجح بسبب إن المسافة الثقافية بين الماضي والمستقبل كبيرة، وقد ينجح نجاحات موقتة وسطحية ولكن مع الزمن يكتشف إن الطريق مسدود.

٢- شخص يريد التغيير من أجل التغيير فقط أو تقليداً لمجتمعات أخرى بدون النظر إلى الثقافة أو الماضي أو الواقع، وهذا الشخص قد يغير وقد ينجح ولكن تغييراته تكون بدون هدف وقد تهدم الهوية الثقافية للمجتمع من أساسها.

٣- شخص بعيد النظر بحيث يبدأ من الواقع وينتهي بالمستقبل مستنداً على تجارب الماضي وتجارب الآخرين مع النظر إلى المحافظة على الهوية الثقافية، وهذا الشخص يكون تغييره مميّز لكنه بطيء قد يحتاج سنوات أو عقود ويواجه الكثير من المعوقات لأن الناس تريد تغييرات سريعة.

والنموذج الفكري أو البارادايم للمجتمعات هو أساس في الضبط الاجتماعي وذلك إن الضبط الاجتماعي « يقوم على مرتكزات معيارية تنطلق من أسس قيمية أو إيديولوجية أو دينية، وهذه المرتكزات المعيارية تصبح المحددات التي تحدد طبيعة الحكم على السلوك أخلاقياً وقيمياً حسب المنطلقات التي تنطلق منها» (عبدالسلام: ٢٠٠٩:٧) ومعنى ذلك «إن بنية المجتمع القيمية مهيأة فطرياً للتوجس من كل تغيير كسلاح طبيعي للدفاع عن بقائها، إذ الأمم والمجتمعات المكونة لها أشد إدراكاً من أفرادها لكون القيم خط الدفاع الأول في المعركة الدنيوية من أجل البقاء» (السعيدي أ: ١٤٣٥:٤٣) والمجتمع يتكون من أفراد ينبغي أن تكون أصل هويتهم الثقافية واحد مما يجعلهم يتفقون في الأمور الكلية التي أساسها العقيدة المبنية على التوحيد الموجهة لسلوك الأفراد بحيث تبني عندهم القدر المشترك من القيم الكلية مثل: الخوف من الله والرقابة الذاتية والصدق والأمانة والرحمة والتعاون وغيرها، وهذه الأمور لابد من إرجاعها للأصل وهو المرجعية الدينية، ولكن بُعد المجتمع أو قربه من الدين هو الذي يصنع العوائق أو يزيلها وذلك لأن النفس البشرية تألف ما اعتادت وذلك لأن ترك العوائد يسبب الألم، وذلك لأن « العادة هي ناظمة اللذة والألم، فالعادة هي ناظمة الحس، وهي سبب الاستمرار في أفعال الإنسان، لثلمها حد اللذة والألم فيه، وبها يألف أشد المصاعب ويتحمل أعظم الجهود، والعادة هي ناظمة حياة الفرد وهي دعامة الحياة الاجتماعية، والأمر الشاق في حياة الأمة أن تبتدع لنفسها عادات اجتماعية» (لوبون: ٢٠١٦:٢٨) ولذلك غاية حركة الإنسان هي البحث

عن السعادة واللذة ولو عن طريق الألم، وذلك إن أساس التربية وبناء النموذج الفكري يرجع إلى إدخال الشعور إلى منطقة اللاشعور(لوبون: ٢٠١٦: ٤٠) ومعنى ذلك إن الإنسان عندما يُدخِل في اللاشعور معنى معين فسوف يعمل من أجله فمثلاً: العمل لمدة ثمان ساعات من أجل الحصول على المال فيه ألم ولكن الإنسان اعتاد على هذه الألم من أجل تحقيق لذة الحصول على المال، ولذلك تجد الكريم يأخذ الديون وقد يدخل السجن من أجل قيمة معينة هي أن يقال له كريم، ومن مفاهيم الشجاعة التضحية بالنفس من أجل قيمة معينة سواءً كانت هذه القيمة هي الاستشهاد في سبيل الله أو من أجل المدح وأن يقال عنه شجاع وغيرها من المفاهيم المرتبطة بأن العادة ناظمة للّذة والألم.

وكل هذه الأمور مرتبطة بتوحيد قيم المجتمع التي تضمن قوة الانتماء وكذلك قوة الهوية الثقافية، ولذلك للنموذج الفكري أو البارادايم دور كبير في المحافظة على الهوية الثقافية سواء كانت هويته الثقافية دينية أو قيمية.

فالنموذج الفكري يتفكك مع مرور الزمن إن لم يكن للمجتمع مرجعية سواءً كانت دينية أو اجتماعية أو غيرها، وذلك إن النموذج الفكري أساسه اعتقاد قوي بشيء معين ومتى ضعف هذا الاعتقاد تفكك هذا النموذج الفكري، فالاعتقاد أعمق من الفكر والسلوك، لأنه المحرك الرئيسي لهما، والاعتقاد يتغدى بتكرار الأفكار والسلوك، والأفكار والسلوك توجه بواسطة الاعتقاد، فالاعتقاد حاجة نفسية ملحّة، فالإنسان لابد أن يعتقد بشيء، وهذا الاعتقاد مبني على عدة أمور: من أهمها السلطة والنفوذ سواء النفوذ السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو التربوي أو غيره.

ولذلك «تثبت المعتقدات إذا دافع المجتمع عنها دفاعاً مستمراً، وإلَّا لا تلبث أن تنحل عراها والتاريخ أكبر شاهد على صحة قولنا، إذ هو مفعم بأنقاض معتقدات لم تلبث بسبب ذلك إلا قليلاً، ولا يكفي لثبات المعتقد إثباته كتابةً، لأن الكتابة لا تفعل غير تبطئة زواله بفعل الزمن، فالمعتقد الديني أو السياسي، أو الأخلاقي يثبت على الخصوص بتأثير:

١- العدوى النفسية -انتقال الأفكار أو السلوك من خلال الاحتكاك والمخالطة-

٢- التلقين المكرر: وهو التعليم والتوجيه والارشاد والوعظ بطرق مختلفة ومتكررة.

ومن مقومات هذين الركنين نعد الصور والتماثيل والحج والطقوس والترتيل والموسيقى والوعظ والإرشاد إلخ، ولو نُفي المتعصب لدينه إلى بادية ليس فيها ما يذكره بدينه لضعف إيمانه بسرعة، فالذي يجعل الزهاد والمبشرين حافظين لإيمانهم هو كونهم يتلون كتب الدين كل يوم ويقضون أوقاتهم بالصلاة والتسبيح» (لوبون: ٢٠١٦: ٢٠٣).

ولذلك فالهوية تتأثر بالنموذج الفكري أو البارادايم من ناحية إيجابية بالبناء والتقوية أو من ناحية سلبية بالتفكك والهدم، ولكن تغيير النموذج الفكري يحتاج إلى زمن طويل يبدأ من عدة سنوات إلى عشرات السنين والتغيير يحدث عندما يركز المجتمع على الاهتمام بالعادات والسلوك وإهمال الفكر أو العكس وذلك لأن السلوك قد يعاد تفسيره بناء على ما عند الإنسان من المعرفة كما حدث في قصة الرجال الصالحين الذين عبدهم الناس بعد آدم عليه السلام والسبب هو تغيير في السلوك وإهمال العلم وذلك بأنهم وضعوا تماثيل للرجال الصالحين وبعدما ذهب خبرهم ونسوا سبب وضع هذه التماثيل جعلهم الشيطان يعبدونها لأن الأجيال السابقة كانت تعبدهم كما ذكر لك ابن كثير في تفسيره (الدمشقي٤ :١٤٢٠: ٣٨٥) وكذلك في قصة الأصنام عند قريش.

ثانياً/ كيف نثبت النموذج الفكري؟

يثبت النموذج الفكري عندما يحافظ المجتمع على الأصول الكلية ويبني القدر المشترك بين الناس في عدة أمور أهمها:

١- الاهتمام بالعقيدة ومرجعية الدين
٢- مفهوم المسؤولية الفردية والاجتماعية
٣- الاهتمام بتوحيد مصادر المعرفة
٤- العناية بالتعليم والعلماء والمعلمين
٥- العناية بالمرأة من ناحية المكانة والتربية

ثالثاً/ كيف يتفكك النموذج الفكري؟

عندما ينشغل المجتمع في الجزئيات ويهمل الكليات أو ما يسمى بالقدر المشترك يتفكك المعتقد الذي بدوره يضعف النموذج الفكري مما يؤدي إلى تأثر الهوية الثقافية، وأصل التأثير يكون على المكونات الأساسية للهوية الثقافية وسوف اذكر بعض الأمثلة حول تأثر أحد مكونات الهوية الثقافية:

أولاً/ الدين

من الأمثلة التي يمكن أن تعتبر مثال يدرس في هذا الجانب هو المجتمع الجزائري الذي تأثر من الاحتلال الفرنسي ١٨٣٠م، «فالعنصر "الديني" من أهم مقومات الهوية الثقافية الجزائرية ولذلك حرص الاحتلال الفرنسي منذ السنوات الأولى من احتلاله للجزائر على القضاء عليه، باستخدام مختلف الوسائل، وطمس معالم الثقافة العربية الاسلامية وحتى تسهل عليهم احكام القبضة على هذا المجتمع فكراً ولساناً وسلوكاً» (شريفة: ٢٠١٦: ٦٩)

بحيث صادر الأوقاف الإسلامية وإيقاف الانشطة المرتبطة بالعلم الشرعي، وإنشاء قانون ميشال لمنع الخطب بالمساجد، وتحويل المساجد إلى كنائس وإتلاف الكتب الشرعية، وغير ذلك من الأمور التي أثرت على الهوية الدينية الضاربة في أعماق الهوية الثقافية الجزائرية. (شريفه: ٢٠١٦: ٧٠) وأخطر شيء يؤثر على الهوية الثقافية استبدال أحكام الدين الإسلامي بالأنظمة والقوانين الوضعية وغيرها من الأمور التي أضعفت جانب الدين مما أثر على الهوية الثقافية الجزائرية.

ثانياً/ اللغة

تعتبر اللغة هي المقوم الأساسي لأي أمة وهي القالب أو وسيلة التواصل بين الناس والأجيال تتأثر اللغة بأي أمر يشغل المجتمع عنها وذلك «إن العولمة الثقافية لا ترضى بوجود لغات أخرى غير الإنجليزية» (محمد: ٢٠١٠: ٩٨)ومتى أهملت اللغة أو غُيرت تأثرت هوية المجتمع الثقافية لأن لغة التواصل والفهم اختلت واضطربت وتكمن الخطورة عندما تكون لغة التعليم العام

تختلف عن لغة المجتمع، أو عندما تستخدم اللغة الأجنبية كنظام عام في الحكومة بدلاً من اللغة الأم وغيرها من الأشكال المختلفة من إحلال اللغات أو دمجها ومن أخطر أشكال التأثير اللغوي الانقلاب اللغوي وهو ما يمكن تسميته "الفصل اللغوي الحرفي بين الأجيال" وهو ما حدث للغة التركية عندما استبدلت حروفها باللغة اللاتينية وهي طريقة تم فيها الفصل بين الأجيال بحيث إن الجيل الحالي من عامة الناس الأتراك لا يستطيعون قراءة التراث التركي الماضي وذلك لحاجة تلك الكتب لمتخصصين في تلك اللغة، وهذا له علاقة بالتاريخ وهو فصل للتاريخ الماضي عن الحاضر.

ثالثاً/ التاريخ

التاريخ يفيد الإنسان في فهم السنن النفسية والاجتماعية للمجتمعات معرفة التجارب الناجحة من الفاشلة بحيث إن التاريخ هو الحضارة لمجتمع ما، كما إن الهوية الثقافية في الماضي تؤثر على هوية المجتمع الحالي وتؤثر على نظرة لمجتمعات لهذا المجتمع، والإهمال للتاريخ أو التركيز على جانب واحد من جوانبه سواءً كان السلبي أو الإيجابي فإنه سبب في عدم الاستفادة منه ومن أخطر الأشياء المؤثرة على الهوية الثقافية النظرة السلبية للماضي لأنها تسبب احتقار المجتمع لهويته مما ينقل هذه النظرة إلى المستقبل، وعكسها النظرة الإيجابية المفرطة بحيث إنها تعتمد على السمعة الممتازة وتعتقد إنها ستبقى مميزة بدون تخطيط ولا عمل فقط لأنها مميزة في الماضي وهو ما يمكن أن نطلق عليه تضخيم المجتمع لهويته بطريقة غير صحيحة والصحيح هو التوازن ومعرفة القيمة الحقيقية للهوية الثقافية بحيث لو كان المجتمع ضعيف لا يمنع من التخطيط وبناء المستقبل بنظرة متفائلة، وإذا كان قوياً لا يمنع من التخطيط من أجل المحافظة على هذه القوة والاستفادة من حركة التاريخ لمعرفة المعوقات والتحديات والتخطيط لمواجهتها وذلك عن طريق النظر إلى الحضارات السابقة من حيث نشأتها وقوتها وضعفها وسقوطها ومعرفة الأسباب وكذلك الصراعات بين المجتمعات، ويبقى إغفال التاريخ أو النظرة الجزئية له من المؤثرات المهمة على الهوية الثقافية بشكل سلبي وذلك من خلال نظرة كلية للتاريخ الإسلامي من خلال الدولة

الأموية والعباسية والعثمانية، تجد إن كل دولة غير ثابتة في النموذج الفكري من خلال النظر إلى العصبية القبلية والفكر والعقيدة، فالعقيدة واحدة وإن حصل ضعف إلا إنها واحدة ولكن الفكر يختلف من فكر الفتوحات إلى فكر الدعوة وأما العصبية فمتقلبة ولذلك تجد إن أغلب سقوط الدول هو عندما يتفكك النموذج الفكري الذي بدوره يؤثر على العقيدة مما يجعل سقوط الدولة سهلاً ومن أخرها الدولة العثمانية عندما أدخلت الدستور الأوربي في الدولة وكان سبب في سقوطها، (السعيدي د: ٢٠١٧) ولذلك «فإن كل دولة عريقة في العمل السياسي، لها رؤى آفاقية "استراتيجية" من النادر تغييرها، وغالباً ما نتج عن هذه الرؤى عن ظروف النشأة، والتي تتمثل في منطلقات قادة التأسيس وطبيعة المجتمع الذي عاصر قيام الدولة» (السعيدي د: ٢٠١٧) وذكر مثال مقارب لهذا الموضوع مونتسكيو في كتابه تأملات في تاريخ الرومان حول أسباب سقوط الإمبراطورية الشرقية حيث ذكر إن الفوضى والابتعاد عن الدين وتقديس التماثيل كان من الأسباب المهمة في السقوط(مونتسكيو: ٢٠١١:٢٠٣)ومن الأمثلة المعاصرة على هذه المنهجية الولايات المتحدة الأمريكية بحيث إن الفكر أو التوجه ثابت لم يتغير من أصوله إلا الشيء النادر، ومن خلال التاريخ تعرف إن أي خلل أو ضعف في النموذج الفكري لمجتمع ما يؤدي إلى خلل في هويته الثقافية وتغييرها أو سقوط هذا المجتمع.

رابعاً/ مقدرات الأرض

يعتمد الاقتصاد المحلي لأي مجتمع على أمرين:

١- المواد الخام
٢- الأيدي العاملة أو العنصر البشري

فالاعتماد في المواد الخام يكون بناءً على مقدرات الأرض أو على الاستيراد وكلاهما نافع ومفيد ولكن الاعتماد على مقدرات الأرض نافع على المدى البعيد لأن الاستيراد لو توقف الاستيراد

توقفت مصالح المجتمع معه وكذلك الأيدي العاملة المحلية أو الأجنبية، وهذا الأمر يؤثر على النموذج الفكري من عدة نواحي منها:

١- إن العامل الأجنبي يحمل معه ثقافة ولغة بحيث تتداخل مع ثقافة المجتمع فتؤثر عليها ومن أظهر الأمثلة على أثر اللغة الأجنبية التي مع العمالة الأجنبية هو تكسير اللغة المحلية.

٢- كل مجتمع لديه أيدي عاملة ولكن قد تنقصهم المعرفة والمهارة والتدريب وعدم تدريبهم وتوجيههم يؤدي إلى البطالة التي تجعل الإنسان لديه وقت فراغ كبير، ومن هنا تبدأ رحلة المشاريع الوهمية التي تجلب المال مثل بيع الفيزة للعمالة أو الربا عن طريق بيع الصابون أو الأرز أو الدخول في المواقع الربوية وكذلك تبدأ رحلة إضاعة الوقت بلعب الورق وقيل وقال وغيرها من الأمور التي تؤثر على المجتمع على المدى البعيد، وذلك إن هؤلاء سيكونون قدوة يوماً ما لأبنائهم أو أقاربهم، ومن هذه الزاوية يتأثر النموذج الفكري فتتأثر الهوية الثقافية فينشأ جيل ضعيف لا يتحمل المسؤولية يريد أن يأتيه المال وهو في بيته.

٣- ومن المؤثرات الاعتماد على مصدر واحد من مقدرات الأرض من المواد الخام سواء في الجانب الصناعي أو الزراعي مثل التركيز على الزراعة وإهمال الصناعية خاصة في ظل التطور الصناعي، أو العكس، أو التركيز على نوع معين وترك الأنواع الأخرى، وذلك إن الإبداع في صنف واحد سيجعل لك قيمة في السوق ولكن على المدى البعيد ستعمل المجتمعات الأخرى على توفير هذا النوع مما يجعلهم يستغنون عنك في المستقبل مما يجعل الاقتصاد يتأثر أو ينهار، فالتركيز على توفير احتياجات المجتمع من الزراعة والصناعة وتطوير مهارات العاملين سيزيد من قوة المجتمع ثم بعد توفير أساسيات الإبداع في مجال محدد ثم المجالات الأخرى.

خامساً/ البيئة

تعتبر البيئة هي المكان الذي يتكون في النموذج الفكري ويندمج فيه الدين مع اللغة والتاريخ ومقدرات الأرض، وهذه المكونات الخمسة تأثيرها على بعض تأثير تبادلي، بحيث إذا تأثر أحدها أثّر على البقية، وأنواع البيئة مختلفة منها:

١- البيئة الأسرية

تعتبر الأسرة من الركائز المهمة التي تتأثر بها الهوية الثقافية بحيث إن أي خلل فيها يؤثر بشكل كبير عليها، وسوف أكتفي بمثال واحد حول هذه النقطة وهو عندما تقوم الخادمة بدور الأم في التربية وخاصة عندما تكون الخادمة غير مسلمة مما يؤدي إلى تأثرها من ناحية الدين واللغة والثقافة.

٢- البيئة الاجتماعية

إذا كانت ثقافة المجتمع مبنية للتعصب لشيء معين كالقومية أو العصبية القبلية فسوف يؤثر على البارادايم وذلك لأن الهدف يكون تحقيق الأهداف الفردية أو القبلية على حساب الأهداف الاجتماعية، لأن كل قبيلة تريد مصالحها على حساب غيرها مما يضيع المصالح العامة، ومن الأمور الاجتماعية المهمة في التأثير على النموذج الفكري أو البارادايم الاهتمام بثقافة المجتمعات الأخرى في الأكل واللباس مما يقود إلى تقليدهم وسوف اذكر مثالين يعبران عن هذه الإشكالية:

١- الوجبات السريعة:

كل منتج يحمل داخله حمولة ثقافية ومن ذلك الوجبات السريعة، فمثلاً الهمبرجر التي تحمل مفاهيم الفردية والإيمان بالحرية واللامبالاة الظاهرة بالعالم الخارجي (سردار:١٤٢٦: ٢٠١٠) فتؤثر على ثقافة المجتمع وتفكك الروابط الأسرية وذلك بدلاً من الاجتماع على الوجبات المحلية تستبدل بالوجبات السريعة مما يؤدي إلى ضعف التواصل الأسري مما يؤدي إلى التأثير على الهوية الثقافية «فالقوة الفاحشة لثقافة الهمبرجر تضع الثقافات المحلية في إسار"قيود" حلقة

مفرغة» (سردار: ١٤٢٦:٢٤٢)، وذلك بسبب إن الإنسان يتعود على الأكل لوحده ولا يخاف أن يفوته العداء أو العشاء لأنه يعرف إنه سيجد البديل عن الوجبات السريعة مما يؤدي إلى انعزاله عن الناس وانشغاله بأمور الحياة الأخرى كالجوال أو الحاسب أو البلايستيشن وغيرها من الملهيات.

٢- ثقافة الملبس:

من الوظائف الاجتماعية للملابس تحديد هوية الإنسان وخلق الاحساس بالانتماء لمجتمع ما مما يرسم صورة رمزية لهوية مجتمع، فمثلاً احتشام المرأة المسلم في اللبس مأمور به يرتبط بفكرة الحياء (ثجيل: ٢٠١٣:٤٦٤) ولذلك تجد أهل المدن تتأثر ملابسهم بالثقافات الأخرى بسبب مشاهدة التلفزيون وغيره من وسائل التواصل الاجتماعي مما يؤثر على ثقافة اللبس، فمثلاً عندما يستورد التجار الملابس الغربية أو الصينية بهدف التجارة والربح بغض النظر عن ثقافة المجتمع فإن هذا الأمر يجعل المجتمع لا يجد في السوق إلا هذه السلعة مما يجعله يتنازل نوعاً ما عن بعض القيود شيئاً فشيئاً حتى تتكسر كل العادات والتقاليد مع مرور الزمن مما يؤثر على فكرة الحياء عند المرأة، وهكذا يمكن القياس على لبس الشباب والمراهقين عن طرق تقليد الفنان المفضل أو اللاعب المفضل مما يجعله يتنازل عن ثقافة المجتمع مع الزمن.

وهذين المثالين مرتبطين بأحد صور الجهل العملي وذلك إن الإنسان يعرف إن هذا الشيء يتعارض مع ثقافته ولكن يتنازل تقليداً لشخص، أو خوفاً من وصمة بالبدوي أو المتخلف، أو كردة فعل من أجل الانتقام من شخص معين.

٣- البيئة الجغرافية:

فالمكان أو الأرض له ارتباط بالاسم حيت الثقافة والآثار والمعالم التي تذكّر الإنسان بالآباء والأجداد والروابط الدينية والروابط القبلية والعصبية أو الوطنية والمواقف سواءً كانت حروب والانتصارات فيها أو فقدانها أو لقاء الصداقة أو وقوف على الأطلال وذكريات الحب وغيرها من الأمور المرتبطة بالمكان، فالتراكم المعرفي والعاطفي والسلوكي والاعتياد على تقاليد معينه له

دور كبير في بناء الهوية الثقافية، فالمكان يحتوي على ذاكرة عميقة للفرد والمجتمع بحيث يوجد علاقة بين الإنسان والمكان وهذه العلاقة هي الثقافة كما يقول إدوارد تي هول في كتابة اللغة الصامتة «إن الثقافة هي اتصال والاتصال هو الثقافة» (هول: ٢٠٠٧:٢٤٣) فالاتصال يكون مع البيئة الداخلية والبيئة الخارجية، وهذا الأمر بدوره يعطينا فكرة حول موضوع عولمة الثقافة وطبيعة حدودها (إنغلز:٢٠١٣:٣٢٠) وقد تتأثر الثقافات ويكون هناك قدر مشترك فيما بينها ولكن تبقى هناك فروق لكل ثقافة وذلك لطبيعة جغرافية المكان بالإضافة إلى عوامل أخرى مرتبطة بالمكان، ومن النماذج التي أدى الخلل في النموذج الفكري على المدى البعيد في فصل البيئة الجغرافية وانقسامها ما حصل في انقسام السودان وتغيير الهوية الثقافية بحيث احتاج هذا الفصل والانقسام إلى أكثر من ١٠٠ عام (إيمان:٢٠١٥)، أما تأثير الانقسام على الهوية الثقافية وصناعة نموذج فكري جديد مثلما حصل مع الأكراد (بك: ٢٠٠٥). ومن هذه النماذج نستنتج إن أثر النموذج الفكري أو البارادايم تبادلي، بحيث يوجد تأثير وتأثُر.

٤– البيئة السياسية

تعتبر الفرق والأحزاب السياسة من أهم الأمور المؤثرة على البارادايم مما يؤدي إلى تفكك الهوية بسبب كثرة الآراء وتنوع المصادر المعرفية من أجل إثبات ما لدى صاحب الحزب من موضوع أو قضية، بحيث يكون الهدف هو تحقيق أهداف الحزب بغض النظر وافقت الإسلام أم لم توافقه، وذلك إنه في بدايات الأمر كان لديه شعارات ورموز معينه ولكن عندما يستلم المنصب يختفي أغلب ما وعد به.

وإذا تعمقنا بالنظر في أصول الأحزاب السياسية نجد هناك علاقة كبيرة بينها وبين الإيديولوجيات، وذلك إن المبدأ واحد وهو تغيير الواقع بحجة إن الآخرين لايفهمون الواقع، فالتغيير الذي أساسه سياسي بحت يعتبر سطحي من حيث تركيزه بشكل كبيراً على جانب واحد من جوانب الحياة وهو الجانب السياسي والقوة مع النظر إلى الجوانب الأخرى على إنها ثانوية كالدين والتعليم واللغة والتربية والتعليم، فالأحزاب هي عقيدة سياسية كما ذكر ذلك موريس ديفرجيه في كتابه الأحزاب السياسية «فالحزب هو اجتماع رجال يعتنقون العقيدة

السياسة نفسها»(ديفرجيه: ٢٠١١:٢) وهذا الجانب من جوانب البيئة السياسية محدود المجال وذلك لأن المناظير عندما تتعدد تختلف الآراء، وعندها يتفرق الناس كل حزب يدعوا لحزبه وذلك لأن الحاجات عند الناس مختلفة، فالذي لايملك الحاجات الأساسية من المأكل والمشرب يجعلها هي الأصل، بينما الذي تشبع منها بجعل الحاجات النفسية هي الأصل، أما الذي تشبع من الأخيرة فيجعل نفسه هو الميزان للناس وذلك لرعبته في اشباع حاجته العقلية والنفسية المترابطة فيما بينها، وذلك إن كل إنسان ينظر من منظاره الخاص، فحاجات الناس تختلف والأحزاب لا تنظر إلى حاجات الناس من أجل تحقيقها ولكن تنظر إليها من أجل جعلها سلّماً لتحقيق أهدافها، وذلك بتركيزها على مواطن الألم في واقع الناس ورفع الشعارات المتمثلة بالوعود المرتبطة بمواطن الرغبة واللذة لدى الناس من خلال تصور المستقبل.

فظهور الأحزاب ما هو إلا ردة فعل للواقع الذي لم يحقق حاجات مؤسس الحزب أو لم يعجبه ذلك الواقع، «فأي ممارسة لابد لها من دافع وهذا الدافع لا يكون إلا بقناعة، وهذه القناعة لابد أن تكون معتبرة، والاعتبار لابد أن يكون بدلالة من الشرع عليه» (أبو زيد:١٤٢٧:١١٨) ولذلك ليست كل قناعة معتبرة لأنه قد تكون معتبرة في زاوية وغير معتبرة في زوايا متعددة، ولذلك الإسلام ينظر لاعتبار الشيء من خلال النظرة الشمولية، وكذلك تكون مشكلة الأحزاب من ناحية الانتماء والولاء بحيث يكون الانتماء لشخص أو أسم أو شعار أو رمز، وهذه الرموز كثيرة ومتنوعة وكثيرة مما يسبب كثرة الأحزاب مما يؤثر بالبارادايم الذي بدوره يؤثر على الهوية الثقافية.

رابعاً/ أسباب الخلل في النموذج الفكري:

بناء على بعض المراجع كما في كتاب البناء الفكري (السعيدي: ١٤٣٨: ٧٣) المرتبطة بمراتب الإدراك أو المعرفة، يمكن في تصوري إرجاع أسباب الخلل في النموذج الفكري بشكل إجمالي إلى أصلين كبيرين هما:

١- الجهل المعرفي
٢- الجهل العملي

فالجهل المعرفي أساسه القياس الخاطئ للأمور بسبب عدم المعرفة أو المعرفة الناقصة أو المعرفة الخاطئة وينقسم الجهل من هذه الناحية إلى ثلاثة أقسام:

١- الجهل الكلي: وهو عدم المعرفة الكلية
٢- الجهل الجزئي: وهو المعرفة الناقصة ويشمل الشك والوهم
٣- الجهل المركب: وهو معرفة الواقع على خلاف ما هو عليه

وهذا النوع من الجهل هو الأصل في تغيير النموذج الفكري أو البارادايم، وذلك لأنه مرتبط بالتصورات الذهنية عن المرجعية وعن الواقع ومتى غابت التصورات الذهنية عن المرجعية الصحيحة أو نقصت أو صارت مقلوبة، حصل التأثير على الأفراد من المجتمع مما يقودهم إلى الشك أو الخوف أو الوهم مما يجعل لديهم قابلية لسماع أي شيء يوجههم حتى لو كان من أعدائهم، لأنهم لا يعرفون الحقيقة وأساسها غياب المرجعية أو سوء فهم المرجعية.

ومن أبرز الصور المستخدمة في الجهل المعرفي عدة أمور منها:

١- تقديم العقل على النقل
٢- القراءة المتعددة لنص المرجعية مثل:

- القراءة التاريخية للنص المرتبطة بفهم الواقع وذلك بدعوى إن الواقع متغير من مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان مما يؤدي إلى تطويع المرجعية إلى موافقة الواقع حتى تذوب المرجعية.
- القراءة العِندية المرتبطة بتزكية النفس بحيث إن كل شخص يرى إنه هو الذي يفهم النصوص فيقول الشخص: أنا عندي الرأي كذا فيقول الآخر: أنا عندي الرأي كذا، مما يؤدي إلى تعدد الآراء واختلاف الناس بدون قواعد وضوابط تنظم منهجية التفكير، لدرجة إنهم ينقسمون إلى جماعات وكل جماعة تنقسم مما يؤدي إلى الخلل في النموذج الفكري فتتأثر الهوية الثقافية مع الوقت.

فالجهل المعرفي يؤثر على النموذج الفكري من خلال التدريس أو المحاضرات أو التأليف على أصول خاطئة وخاصة إذا كان المؤلف مشهوراً، لأن الناس تبحث عن قائد يقودها ويتحدث عن حاجاتها، فالتأليف عندما يكون من أجل إرضاء الناس يكون أثره قوي جداً بطريقة سلبية وهدامة.

أما الجهل العملي فأساسه التقليد المبني بسبب إن الشخص يعرف الحقيقة ويخالفها إتباعاً لهوى نفسه سواءً شهوة بصورة حب لشيء أو بصورة انتقام أو خوف، وهذا الشهوة المرتبطة بحب شيء كالجاه أو المال أو المدح والتقدير أو شهوة النساء للرجال والعكس وشهوة الطعام والشراب وشهوة اللباس وشهوة الخمر والمسكرات وغيرها من الشهوات، أما الشهوات المرتبطة بالانتقام مثل الحسد والكبر وغيرها، وأساس الجهل العملي يبدأ بشهوة ثم مع مرور الزمن تتحول إلى شبهة، ولذلك «لاتوجد شبهة إلا وهي نابتة على الأرض شهوةً، حتى تتحول إلى كونها مذهباً متبوعاً وربما ديناً أو عادة في الناس، وهذه قاعدة في كل الأمم والشعوب تصنع شهواتهم مذاهبهم الباطلة» (الطريفي:٩٩ :١٤٣٩) وأخطر ما تكون الشهوة على الإنسان والمجتمعات عندما تتحول إلى عقيدة، «وقد تكون الشهوة عند القناعة بشيء غير ظاهرة في جيل من الأجيال، وإنما يفعلون ذلك بلا شهوة ولا ميل، وربما يفعله بعضهم تديناً أو عادة، بل ربما يكون في بعض الأجيال من يكرهها، وهذا كله لا يعني أنها لم تنشأ في أصل نشأتها الأولى بلا

شهوة، فالجيل الذي جاء فكرهها لم يدرك أصل نشأتها، وإنما تحولت إليه في صورة أخرى، فقد تكون نبتت في أول أمرها على أرض شهوة المال أو الجاه أو غير ذلك، وزالت تلك الشهوة بزوال مؤسسها، فأخذها من بعده بصورة أخرى»(الطريفي:١٤٣٩:١٠٠) فالجهل العملي أساسه عدم وضع الأمور في موضعها الصحيح، بحيث إن كل شيء في هذه الحياة إذا لم يوضع في موضعه الصحيح فسوف تكون هناك ردة فعل معاكسة، وكذلك الشهوات إذا لم توضع في موضعها الصحيح كما وضعها الإسلام ووضع البديل عندما لا يستطيع الإنسان أن يضعها في موضعها الصحيح كما في أمر الشباب بالزواج فإن لم يستطيعوا أمرهم بالصوم كما في قوله ﷺ «يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» (آل الشيخ:١٤٢٩:١٤٩) وكذلك الزكاة إذا منعها الناس بسبب حبهم للمال، فسوف تكون هناك ردة فعل عكسية وذلك إن كل المجتمع لا يخلو من الفقراء والعاجزين عن العمل والأرامل والمطلقات، ودفع الزكاة يقلل الفجوة بين الفقراء والأغنياء أما منعها فيجعل الفجوة كبيرة بين طبقات المجتمع الفقيرة والغنية فيميلون إلى تحقيق رغباتهم أو الانتقام من المجتمع بفعل الجرائم والسرقات، وكذلك وضع قانون لمنع التعدد في الزواج عند الحاجة قد يؤدي إلى عواقب وخيمة وخاصة إذا زاد عدد النساء عن عدد الرجال كما أشار إلى ذلك إدوارد ويستر مارك في كتابة موسوعة تاريخ الزواج (مارك:١٤٢١:٣٢٦). وكذلك شهوة الجاه التي تقع بسببها الكثير من الإيديولوجيات الخاصة بتغيير المجتمعات وذلك بسبب الانتقام من المجتمع.

خامساً/ إصلاح النموذج الفكري أو الهوية الثقافية

الإصلاح هو إرجاع الشيء إلى أصله الأول، وإصلاح الواقع الاجتماعي هو إرجاع الهوية الثقافية إلى أصولها الأولى المبنية على المرجعية، «فحقيقة الإصلاح: ارجاع الشيء إلى حال اعتداله، بإزالة ما طرأ عليه من فساد، وما علق به من شائبة الهوى والاختلال، وذلك لا يكون إلا على منهاج النبوة لا غير، لا على فكرة تحيا بالقناعة بها، وتموت بعدم القائم بها، أما

الإسلام على منهاج النبوة فالدعوة إليه هي الباقية، لأنها غير مبنية على فكرة، وإنما هي الدعوة إلى الله، وهذه لها البقاء والحفظ والدوام إلى قيام الساعة» (أبو زيد:١٤٢٧:١٠٢)

وللإصلاح شرطان:

١- معرفة الأصل وهو المرجعية وفهمه

٢- معرفة الواقع لمعرفة درجة التغيّر والمسافة الفاصلة بين الواقع والمرجعية وذلك عن طريق الدراسات الميدانية.

وإهمال أحد الشرطين يؤدي إلى أما التغيير السطحي الموقت أو التغيير الفوضوي الذي يدمر الهوية الثقافية أو إلى عدم التغيير وذلك بسبب التركيز على دراسة الواقع دراسة معمقة بدون النظر إلى المرجعية مما يؤدي إلى معرفة المشكلة مع عدم وجود الحل بسبب غياب الغاية من الدراسة وفقدان تحديد الاتجاه والخطة، وذلك إن معرفة المشكلة وحدها لا يكفي.

والإصلاح لابد أن تكون له نظرة شموليه لجميع جوانب الحياة، فالإصلاح له أولويات، بحيث إن الإصلاح بالجوانب العلمية والعقدية والأخلاقية والعبادة مقدم على الجوانب الاقتصادية والسياسية بالرغم من أهمية السياسة في وضع إطار عام للمجتمع لحمايته من أفراده والخارج، وذلك لأن بناء شخصية الأفراد هو الأساس الذي يؤثر على النموذج الفكري ويؤثر على بناء الهوية الثقافية وقوتها، فعلى سبيل المثال الشخص الذي لديه أمانه لا يمكن أن يحصل منه فساد إداري يؤثر على الاقتصاد والسياسة مع مرور الزمن لأن التغيير مبنى على التراكم المعرفي والسلوكي، « فالإصلاح في الشريعة الإسلامية كلٌّ غير منقسم، فالإصلاح العقدي التربوي والعلمي هو في النتيجة إصلاح سياسي» (السعيدي ج: ١٤٣٦ :٤٨) كما قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥] بحيث إن عقيدة التوحيد توحّد رؤية المجتمع الكلية وغاياتهم الكبرى مما يؤدي إلى التماسك الاجتماعي لأن الهوية الثقافية الفردية واحدة، ومن الأمور المهمة في الإصلاح أن

لا يعرف المجتمع كل الجوانب السلبية في المجتمع حتى لا تتغير نظرته للحياة من التفاؤل إلى التشاؤم، مثلاً لو حدثت جريمة واحدة بمنطقة ما ثم انتشرت عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي إلى جميع المناطق، من هذه الزاوية تتشكل صورة بأن المجتمع تنتشر فيه الجريمة بكل مكان، لأن الإشاعات وتناقل الأخبار السلبية له سطوة مما يؤثر على النموذج الفكري على المدى البعيد، بحيث يعتبر الناس كل شيء عادي بسبب كثرة مروره على عقولهم حتى ألفته، فالإصلاح أساسه موازنة تُبنى على خطة استراتيجية وليست تغير من أجل التغيير أو تغيير عشوائي.

ومن الأسباب التي تجعل التغيير السياسي ليس من الأولويات وإنما هو نتيجة لعدة أسباب منها:

١- إن الانشغال بالإصلاح السياسي سيؤدي حتما عن الانشغال عن الاصلاح العقدي والأخلاقي والتربوي والعلمي والعبادة مما يؤدي إلى تفكك المجتمع من الداخل.

٢- إن الاصلاح السياسي غير مضمون النتائج، وذلك بسبب إنه قد لا يستطيع الناس تغيير الحاكم وإذا استطاعوا تغييره قد يفقدون الكثير من العلماء والقادة بسبب ما يحصل في بعض الثورات أو الحشود فيقتل الكثير من البشر، وإذا تجاوزا هذه المشكلة قد لا يضمنون أن يكون الحاكم الجديد له أهداف خاصة أو أنه أسوأ من الذي قبله، ولذلك الإصلاح السياسي يحتاج إلى أمرين هما: القدرة والمصلحة الراجحة.

٣- إذا كان المشكلة في الحاكم فإنه قد يتغير بسبب ضغط المجتمع أو يموت.

ولذلك المحافظة على الهوية الثقافية الأصلية أولى من بناء هوية ثقافية جديدة.

ملخص النتائج:

من خلال تحليل مضمون بعض المواقف والمقولات والكتب والفترات الزمنية للبارادايم وأثره على الهوية الثقافية ودور الاعتقاد على الهوية الثقافية، استنج الباحث تحقيقاً للهدف الأول وإجابة للتساؤل الأول أن بناء الاعتقاد يحتاج إلى وقت طويل وتدرج ومعرفة الواقع وعدم مصادمته ولكن بمعرفة كيفية التعامل معه وفق الغايات المطلوبة، كما حدث في عهد الرسول ﷺ بحيث احتاج إلى حوالي ثلاثة عشر سنة من أجل بناء الاعتقاد بحيث إن الاعتقاد يؤثر على منهجية التفكير، كما إن منهجية التفكير لابد لها من ضوابط تحكمها من الانحراف هي أن تكون الأفكار مشروعة وفق الشرع وعملية واقعية يمكن تطبيقها وليست نظرية خيالية مع النظر إلى المصالح والمفاسد كما حصل في صلح الحديبية، وكذلك لابد من مراجعتها قبل التنفيذ بحيث توضع في المكان والوقت المناسب كما حدث في الهجرة إلى المدينة، ولابد أن تعتمد منهجية التفكير على مرجعية صحيحة كالدين الإسلامي وليس على القوانين الوضعية كما حدث عند احتلال فرنسا للجزائر .

كما استنج الباحث تحقيقاً للهدف الثاني وإجابة للتساؤل الثاني إن قوة البارادايم وثباته له أثر في المحافظة على الهوية الثقافية وتماسكها، وضعفه يؤدي إلى تفككها، كما إن التغير في البارادايم بطيء جداً، بحيث إن بناؤوه يحتاج إلى وقت طويل، هدمه يحتاج إلى وقت طويل ولكن إذا سقط وتفكك كان أثره خطير، كما حدث في المجتمع السوداني بحيث احتاج انفصال السودان إلى أكثر من ١٠٠ عام، واستنج الباحث أن أثر البارادايم (النموذج الفكري) على الهوية الثقافية أثر تبادلي، بحيث إن أي تغيير في مكونات أحدهما يؤثر على الآخر على المدى البعيد، وبذلك عندما يريد أي مجتمع التنمية والتطوير والاستفادة من الآخرين لابد أن تعتمد على المحافظة على الأصول الكبرى من الهوية الثقافية للمجتمع كما فعل المجتمع الياباني بمراعاة البيئة وطبيعة الأرض واستيراد احتياجاته من المواد الخام، بحيث إن إهمالها سيجعل المجتمع يركز على الجزيئات وينسى الكليات مما يضعف الهوية الثقافية ويقلل التماسك الاجتماعي، كما استنتج أن الإصلاح هو إرجاع الهوية الثقافية إلى أصلها

الأول وليس استحداث أشياء جديدة، لأن الاستحداث تغيير للهوية وليس إصلاح لها كما يحصل في الثورات، كما أن الإصلاح العقدي والتربوي والعلمي أقوى أثراً من الإصلاح السياسي على المدى البعيد لأن الإصلاح السياسي كيد التي تملك سور المدينة ولكن إذا انهدم لا تعرف أن تبنيه بينما الإصلاح العقدي والتربوي والعلمي هو كاليد التي تبني هذا السور وتحميه على المدى البعيد.

التوصيات:

من خلال نتائج البحث يوصي الباحث بعدة توصيات منها:

- العناية بتدريس العقيدة الصحيحة والتوحيد وذلك لأنه يجعل الغاية الكبرى واحدة.
- الدراسة الميدانية للبارادايم للمجتمع من خلال معرفة اهتمامات المجتمع، هل هي مادية أو نفسية أم فردية أو اجتماعية أم دينية أو غير دينية؟ لأن هذه الأمور تعد مؤشرات إلى ميول المجتمع واتجاه التغيير في المستقبل.
- العناية بدراسة الهوية الثقافية دراسة استراتيجية بناء على معرفة البارادايم الحالي.
- عناية القادة والسياسيين في التفكير الإستراتيجي وبعد النظر عند توقيع أي اتفاقية ومحاولة توقع النتائج، وذلك لأنه قد يكون لدى انتصارات وأرباح مؤقته ولكن على المدى البعيد يعتبر خاسر، وكذلك والتأكد من عدم تناقض بنود العقد بحيث تكون كثيرة أخرها يلغى أو يخصصه أو يجعل له تاريخ محدد، أو وضع نسبة مئوية فارغة لتمرير بعض البنود عن طريقها لأنها قد تفكك الهوية الثقافية بقرار مستقبلي مثل إضافة قانون معين من أجل التدخل بالموضوع.
- العناية بالتوعية الخاصة بأهمية مكونات الهوية الخمسة وهي الدين واللغة والتاريخ والبيئة ومقدرات الأرض وكيفية المحافظة عليها.

المراجع:

١- أبو زيد، أحمد، البناء الاجتماعي، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثامنة، ١٩٨٢م.

٢- أبو غده، حسن عبد الغني وآخرون، الإسلام وبناء المجتمع-ط٥- مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٣٤هـ.

٣- اسماعيل، قباري محمد، علم الاجتماع والإيديولوجيات، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،١٩٧٩م.

٤- الأشقر، عمر سليمان عبد الله، نحو ثقافة إسلامية معاصرة-ط١٣-، دار النفائس، عمان، ٢٠١١م.

٥- أمين، جلال، العولمة -ط٣-، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١١م.

٦- إنغلز، ديفيد وجون هيوسون، ترجمة لما نصير، مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة-ط١- المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة،٢٠١٣.

٧- أونو، كينئيتشي، التنمية الاقتصادية في اليابان، ترجمة خليل درويش، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٨- آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)، دار السلام، ط٤، الرياض، ١٤٢٩هـ.

٩- إيمان، حدادي، إشكالية انفصال جنوب السودان وأثرها على دول المحور، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر،٢٠١٥م.

١٠- الباحسين، يعقوب بن عبد الوهاب، قاعدة العادة محكمة، (ط٢)، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٣٣هـ.

١١- باركر، جول آرثر، ترجمة سليم نطور، البراديمات، (ط١)، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠١٣م.

١٢- البسام، مضاوي بنت سليمان، نظرية اللذة عند ابن تيمية، مجلة حولية كليات الدراسات الإسلامية والعربية بالإسكندرية، المجلد الرابع من العدد الرابع والثلاثين، (د ت).

١٣- بدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت،١٩٨٢م.

١٤- بكار، عبد الكريم، مدخل إلى التنمية المتكاملة، (ط٤) دار القلم، دمشق، ١٤٣٢هـ.

١٥- بك، محمد أمين زكي، ترجمة، محمد علي عوني، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، القسم الأول، (ط٢)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٥م.

١٦- ثجيل، فؤاد غازي، الملبس والهوية الثقافية بين الانتماء والاغتراب برؤية أنثروبولوجية، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد السابع والسبعون، الجامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠١٣م.

١٧- الجوزية، ابن قيّم، الداء والدواء، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٩هـ.

١٨- الجزائري، أبو بكر جابر الجزائري، هذا الحبيب يا محب، ط١، دار الغد الجديد، المنصورة، مصر، ١٤٢٦هـ.

١٩- خلدون، عبد الحمن ابن محمد، مقدمة ابن خلدون-ط٢-، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٤هـ.

٢٠- الخريجي، عبد الله، علم الاجتماع الديني، سلسلة دراسات في المجتمع السعودي، الكتاب التاسع، توزيع رامتان، جدة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ

٢١- الخشاب، مصطفى، علم الاجتماع ومدارسه، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠١٥.

٢٢- خلف، عبد المجيد، النظرية، النموذج، البارادايم، الإستراتيجية، المدخل،١/٦/١٤٤٠هـ الأنترنت.

٢٣- الدرر السنية، ١٥/١/١٤٤١هـ.

٢٤- الدمشقي٣، أسماعيل ابن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، الجزء الثالث، (ط٣)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت/ ١٤٢٠هـ.

٢٥- الدمشقي٤، أسماعيل ابن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، الجزء الرابع، (ط٣)، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت/ ١٤٢٠هـ.

٢٦- ديفرجيه، موريس، الأحزاب السياسية، ترجمة علي مقلد وعبد المحسن سعد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١١م.

٢٧- الزيدي، طه أحمد، المرجعية في ضوء السياسة الشرعية، ط١، دار النفائس، عمان، ٢٠١٤م.

٢٨- سردار، ضياء وميريل وين ديفيز، ترجمة، معين الإمام، لماذا يكره العالم أمريكا؟، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٦هـ.

٢٩- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ط١) الدار العالمية للنشر، الاسكندرية.

٣٠- السيف، ناصر بن سعيد بن سيف، أسس الحرية في الفكر الغربي، شبكة الألوكة، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ

٣١- السعيدي أ، محمد بن إبراهيم، الممانعة الاجتماعية، (ط٢) مركز الفكر المعاصر، الرياض، ١٤٣٥هـ

٣٢- السعيدي ب، محمد بن إبراهيم، منهج للبناء الفكري، ط٣، مركز دار الفكر المعاصر، الرياض، ١٤٣٨هـ.

٣٣- السعيدي ج، محمد بن إبراهيم ولطف الله خوجه، الإصلاح ومنهج التغيير، (ط١)، مركز دار الفكر المعاصر، الرياض، ١٤٣٦هـ.

٣٤- الشامي، رشاد عبد الله، إشكالية اليهودية في إسرائيل، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٧م.

٣٥- شريفة، بريجة، التغيرات السوسيو-ثقافية وأثرها على الهوية الثقافية الجزائرية، رسالة دكتوراة، جامعة وهران٢، كلية العلوم الاجتماعية، الجزائر، ٢٠١٦.

٣٦- عبد السلام أ، طارق الصادق، ابستمولوجيا علم الاجتماع من منظور إسلام المعرفة، الدار العالمية، الجيزة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٣٧- عبد السلام ب، طارق الصادق، الضبط الاجتماعي في الإسلام-ط١-، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الجيزة،٢٠٠٩م.

٣٨- العثيمين أ، محمد بن صالح، شرح ثلاثة الأصول، ط٣، دار الثريا للنشر، الرياض، ١٤٢٤هـ.

٣٩- العثيمين ب، محمد بن صالح، الشرح الممتع على زاد المستقنع، المجلد١٥، ط٨، دار ابن الجوزي، القصيم، ١٤٣٩هـ.

٤٠- العجيري، عبد الله بن صالح ينبوع الغواية الفكرية، مجلة البيان، الرياض، ١٤٣٤هـ.

٤١- العروي، عبد الله، مفهوم الإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثامنة، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١٢م.

٤٢- العقاد، عباس محمود، دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، دار اليقين، مصر، المنصورة، ١٤٣٦ هـ.

٤٣- عماد، عبد الغني، سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات... من الحداثة إلى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٦م.

٤٤- الغريب، عبد العزيز، التغير الاجتماعي والثقافي-ط١-، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، ١٤٣١هـ.

٤٥- الفيروزبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت،٢٠٠٥م.

٤٦- القحطاني، فرحان بن حمد، التحاكم إلى العادات والأعراف القبلية، (الأنترنت،word)

٤٧- قسوم، سليم، نظريات انتقال القوة والتغير السلمي: هل سيكون صعود الصين سلمياً، المجلة الجزائرية للأمن والتنمية، العدد (١٣) جويلية ٢٠١٨م

٤٨- قطب، محمد، دراسات في النفس الإنسانية، ط١٠، دار الشروق، القاهرة،١٤١٤ هـ.

٤٩- كوش، دنيس، ترجمة منير السعيداني، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية-ط١- مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٧م.

٥٠- لوبون، غوستاف، ترجمة علي زعيتر، الآراء والمعتقدات، دار العالم العربي، الطبعة الرابعة، ١٤٣٦ هـ.

٥١- مارك، ادوار ويستر، ترجمة مصباح الصمد وصلاح صالح وهدى رطل، موسوعة تاريخ الزواج، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ١٤٢١هـ

٥٢- مارشال، جوردن، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، موسوعة علم الاجتماع، المجلد الثالث، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٥٣- مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ

٥٤- المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم-بحث في السيرة النبوية- ط٢٤، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ١٤٣٥هـ.

٥٥- مخلوف، زين العابدين، محاضرات مادة الثقافة والعولمة (المحاضرة الأولى)، جامعة الملك فيصل، ١٤٣٦هـ.

٥٦- محمد، زغو، العولمة والهوية الثقافية، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية٤، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف الجزائر، ٢٠١٠م.

٥٧- المصلح، مصلح، الشامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار عالم الكتب، الطبعة الأولى، الرياض، ١٤١٩هـ.

٥٨- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بمصر مكتبه الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ.

٥٩- المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط١، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩م.
٦٠- معوض، موسى نجيب موسى، التأهيل الاجتماعي لأسرة السجين من منظور خدمة الفرد (سجين الأخذ بالثأر نموذجاً)، شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة، ٢٠١٢/٤/٢٠م.
٦١- المنجد، محمد صالح، كيف عاملهم محمد ﷺ، (ط٣)، مجموعة زاد، الخبر، ١٤٣٧هـ.
٦٢- المودودي، أبو الأعلى، تعريب محمد كاظم سباق، المصطلحات الأربعة في القرآن، (ط٨)، دار القلم، الكويت، ١٤٠١هـ.
٦٣- مونتسكيو، ترجمة عبدالله العروي، تأملات في تاريخ الرومان، (ط١) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ٢٠١١م.
٦٤- ميكشيللي، أليكس، ترجمة على وطفة، الهوية، دار الوسيم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م
٦٥- هارلمبس وهولبورن، ترجمة حاتم حميد محسن، سوسيولوجيا الثقافة والهوية، دار كيوان، الحلبوني، دمشق، الطبعة الأولى ،٢٠١٠م.
٦٦- هيود، أندرو، ترجمة محمد صفار، (ط١) مدخل إلى الايديولوجيات السياسية، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٢م.
٦٧- الوردي، علي، خوارق اللاشعور، (ط٥)، دار الوراق، بيروت، ٢٠١٧م.
٦٨- الوردي، علي، الأخلاق، (ط٤)، دار الوراق، بيروت، ٢٠١٧.
٦٩- اليوبي، محمد سعد بن أحمد بن مسعود، مقاصد الشريعة وعلاقتها بالأدلة الشرعية، (ط١)، دار الهجرة، الرياض، ١٤١٨هـ.
٧٠- يوسف، نعيم، أثر العقيدة على حياة الفرد والمجتمع، دار المنارة، المنصورة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

المواقع الألكترونية:

١- السعيدي د، محمد بن إبراهيم السعيدي، نحن وترامب وتلك السنن، مقالة، ٢٠١٧/٢/٦م، https://www.mohamadalsaidi.com/?p=5661

٢- انقلاب لغوي: Wikipedia

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%86%D9%82%D9%84%D8%A7%D8%A8_%D9%84%D8%BA%D9%88%D9%8A

المراجع الأجنبية:

1- Buckingham, David, introducing of Identity, Massachusetts institute technology, 2008.